أشكو إليك زوجتي

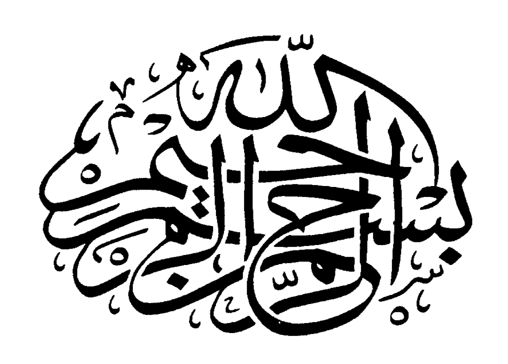
بقلم

عصام محمد الشريف

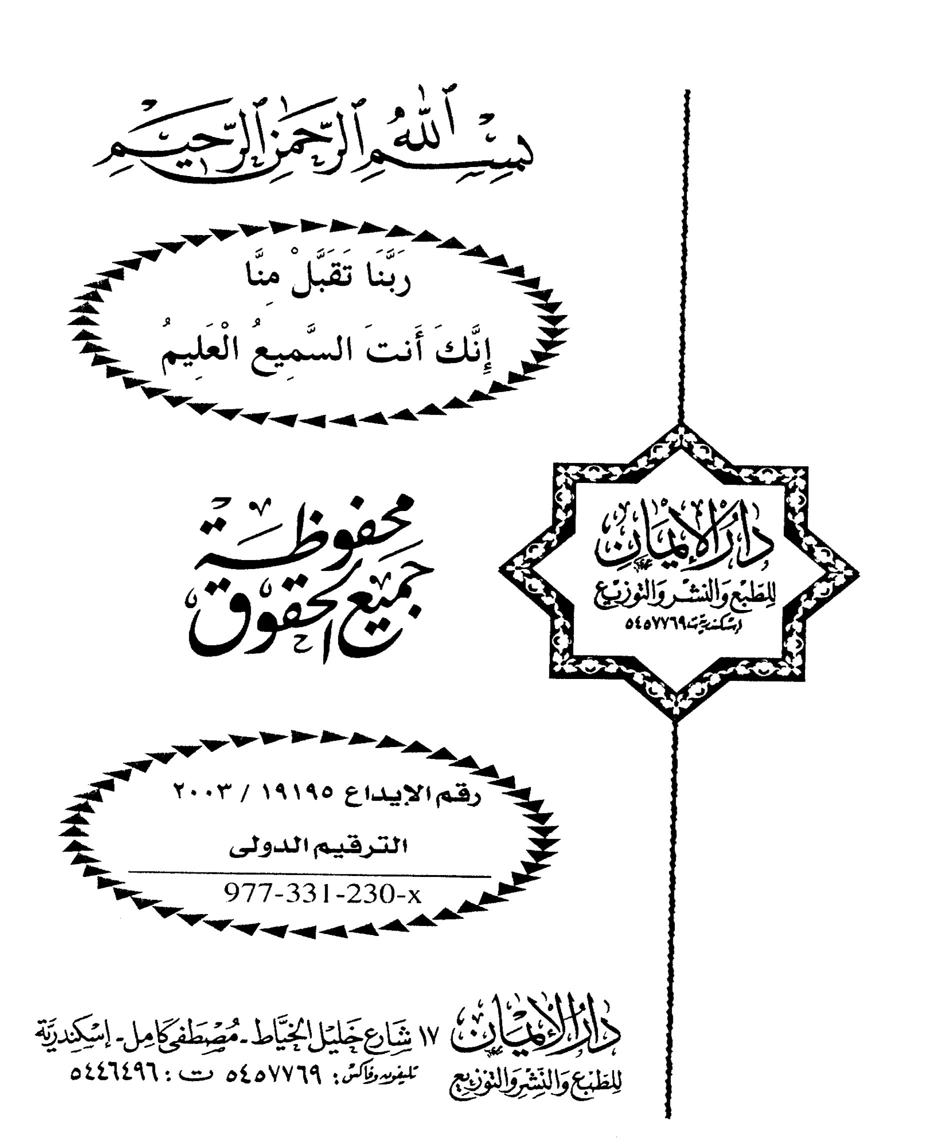
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين






بسم الله الرحمن الرحيم

أشكو إليك زوجتي



بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

رقم الإيداع ١٩١٩٥ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى

977-331-230-x

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

تقديم

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، أحمده تعالى على جزيل إنعامه وفضله، وأشكره على جليل إحسانه ونواله، فله الحمد على أسمائه الحسنى وصفات كماله ونعوت جلاله .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق العلي الكبير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وبعد:

فإن عظم حق الزوج على زوجته لا يعنى بأى حال من الأحوال إهمال حقوق الزوجة، وإيصاء النبى ﷺ الرجال بالنساء خيرًا لا يعنى إهمال الزوجة حقوق زوجها، فضلاً عن عظم حق الزوج الذى أصبح على المرأة أشد وأخطر من حقوق والديها عليها كما ذكر ذلك أهل العلم .

وعندما يشكو الزوج من زوجته فإن ذلك لابد ألا يمر مروراً عابراً، أو تقابله المرأة بدون اكتراث، بل لابد أن تهتم وتجبر تقصيرها إن قصَّرت، وتعتذر إن أخطأت، وتتوب إن زلت، وتطيع إن عصت .

إن من أهم القضايا التى يجب أن تنشغل بها كل زوجة هو:

طلب مرضاة الزوج، تسأل زوجها بين الحين والآخر عن ذلك، وتتلمسه بحسن التبعل، واتباعها لمرضاته، وتقديم هواه على هواها، ولا تعصيه في معروف أبداً .

وهذه الرسالة التى بين يدى القارئ الكريم هى مجموعة من الشكاوى التى يشكو منها الأزواج من زوجاتهم، نحاول تجليتها وتشخيصها وتقديم العلاج حتى نصل في النهاية إلى إيجاد بيوت مسلمة تغمرها السعادة والهناء كما يغمرها الإيمان .

وهذه نصيحة أخت لأختها في حياتها الزوجية : كيف تكسب زوجها وتحافظ عل بيتها ؟

أختى العزيزة: لى خبرة في حياتى أحب أن أسردها عليك لعلها تكون مفيدة لك في مستقبل أيامك وفي ظل حياتك الزوجية، لقد كنتُ عديمة الخبرة ولم تكن معى أم واعية أو متعلمة تساعدنى بخبرتها ومفاهيمها التى حَصَّلَتها عبر تجربتها أو دراستها، وليس يكبرنى أخت تحمل تلك المواصفات أيضًا مما جعلنى أستند في قراراتى على وجهة نظرى السطحية الجوفاء التى لا تحمل في مضامينها مقومات سليمة للحياة الزوجية السعيدة . فقد اعتقدت أنه لكى أحصل على جميع حقوقى يتطلب منى الوقوف يوميًا مع زوجى أمام أنواع المحاكم المنزلية في جدال عقيم وخصام طويل ومناقشات ومحاسبات، ولم أكن أعتمد على نفسى في مرافعاتى - فقد أخفق - بل كنت أستعين بمحاميات من صديقاتى اللاتى خضن تجربة التنكيد، وذهبتُ في طريقتى سعيدة بإنجازاتى العظيمة التى أخذت تهدم سعادتى وبيتى دون أن أدرى . وبعد مرحلة طويلة خسرت فيها بيتى وسعادتى أخذتُ على عاتقى تقييم خطواتى وجهودى بمرآة المنطق السليم والرؤيا الصحيحة عبر بوابة الدين والأخلاق وعلم النفس والقدوة الطيبة بأهلى والاستفادة من أمهاتى صاحبات الخبرة السليمة واستخلصت التجربة التالية :

▪ الحياة دار امتحان، والسعيدة فيها من عرفتها وتحملتها وصبرت عليها . والسعادة أيضًا هى القناعة بالواقع والنظر لمن هو دونك وليس النظر لمن هو فوقك .

▪ على المرء أن يتعرف على النعم التى منحها الله إياها حتى يعرف أنه غنىٌ وسعيد وهو لا يدرى . من هذه النعم بعد نعمة الإسلام نعمة الصحة والأمن والأمان والعيش بسلام، نعمة الأهل والقرابة والصحبة والمال والعيش، ولن يعرف الإنسان حجم هذه النعم وقيمة واحدة منها إلا حينما يفتقدها، تصورى لو

فقدت بصرك أو سمعك أو فقدت المأكل والملبس، تصورى أنك في بقعة متوترة من بقاع الأرض، تصورى أن فيك مرض خطير وحتى لو كان عندك مرض فأنت تجنين ربحًا كبيرًا على الصبر لأن الصبر عبادة يحبها الله كثيرًا، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٥] وقال الله تعالى في النعم التى منحها لعباده: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٨] . وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١] .

■ اكتبى قرارًا ضعيه قريبًا منك مثلى، وقولى سوف أكون الزوجة الوفية المطيعة لزوجها التى تسعى أن توفر له السعادة والجو الهادى ولا تنغصى عليه حياته وطلقى الجدل والمناقشة التى لا تفيد حول المشاوير أو الطلبات التى تجر إلى الخصام . تقبلى موافقته على ما تريدين بالشكر والدعاء وعدم موافقته بالقبول والرضى، واعلمى أنك مثل من يزرع ويتعب فإنه في النهاية سوف يحصد الخير الكثير .

■ عندما تكونى متوترة وفي نفسك أشياء كثيرة، قومى بكتابتها مثلى على ورقة ثم مزقيها، تحسين بأن نفسك قد هدأت، وإذا رأيت ضرورة مناقشة زوجك وأنت متوترة أجلى ذلك حتى تهدئى ويذهب التوتر . اختارى الوقت المناسب الذى يناسب الزوج ويوفر للمطالب دعائم الموافقة والقناعة، ولا تختارى وقت العودة من العمل حينما يكون مثقل بالهموم من المواقف الصغيرة المتراكمة فهو غير مؤهل بدنيًا ونفسيًا للمناقشة، وكذلك قبل النوم لأنه ربما يجتر شيئًا مما جرى ويعلق في نفسه ويسبب له القلق والأرق . واختارى الوقت المناسب مثل قبل خروجه من البيت وخاصة عندما يكون راضيًا . اطرحى عليه ما تريدين واتركى له تقرير ما يراه وأشعريه بالرضاء في كلا الحالتين .

■ ونصيحة مخلصة من أختك المجربة من أجل أن تحصلى على ما تريدين من

زوجك وتحقق أحلامك، لابد أن تستخدمى عقلك بدلاً من عاطفتك في معالجة أمورك . امنحى وأعطى لكى تأخذى، أعطى نكران الذات وتنازلى عن حقوقك لكى تأخذيها ؛ فلن تأخذى شيئًا عبر بوابة المناقشة والجدال الذى يفضى إلى الكراهية .

- لا تناقشين زوجك حول الجوانب التى يجب أن يخفيها كجوانبه الشخصية، ولا تكدرين سعادته عند قدومه بمخاصمته حول تأخره أو عدم إحضاره متطلبات البيت . حاولى أن تهملى الجوانب الصغيرة التى يمكن الاستغناء عنها أو يغنى عنها البديل .

- لابد أن تتفهمى أن الحياة تحتاج إلى الصبر والتحمل وفيها الكدر والتعب لأن هذه الحياة طريقنا إلى الحياة الآخرة إلى دار البقاء فعندما تقل الإمكانيات أو يقل إحضار بعض لوازم البيت فمن الأفضل أن نتناسى ذلك مقارنة بما عندنا من خيرات، ولابد أن نبحث لأزواجنا الأعذار التى ندافع بها عن أنفسنا عندما لا نقوم بكل ما هو مطلوب منَّا .

- إذا أردت تحقيق شيء ما في حياتك ولكنك سلكت الطريق الذى لا يحققه، قفي وخذى الطريق الآخر، نعم خذى الطريق الذى يوصلك إلى محبة زوجك، استخدمى عقلك، وتنازلى عن حقوقك لكى تأخذيها، لا تحاسِبى فتحاسَبى، لا تكدرين على زوجك فتكدرين على نفسك .

- قارنى الواقع الذى تعيشينه بالناس الذين هم دونك وليس بمن هم فوقك . ثم إن الحياة والناس مظاهر، كل منهم لديه همومه ومشاكله ولكنه يدفنها ويلبس أمام الناس الملابس البراقة المغرية حيث يخرج أمامهم بوجه طلق، والهم قاتله، وتمر الحياة سريعة ونبقى جميعًا لا يخيفنا الموت بالحجم الذى يخيفنا ما بعده .

وأخيرًا إذا تأخرتُ عنك كثيرًا فأعيدى الرسالة لى لكى أستفيد منها، فربما نسيتُ شيئًا منها وسلكتُ مع زوجى طريقًا آخر، خاصة وأنى فقدت زوجى

الأول بسبب غيرتي الزائدة)[١] .

أردت أن أصدر رسالتى هذه بهذه النصيحة من امرأة لغيرها من نساء المسلمين، كي تكون توطئة لموضوعنا، وأن تفتح المرأة قلبها لي قبل عقلها وهي تقرأ هذه الرسالة، عسى الله أن يثبت نساء المسلمين على الطريق الصحيح ويهديهن سواء السبيل .

أنا مذنبٌ أشكو ذنوبي فامحها ... عني وبلِّغني الذي أهواهُ من كان
وأذقني بَرْدَ رضاك عني فلم يخبْ ... عينك بالرضا ترعاهُ

والله أسأل أن ينفع بهذه الرسالة، وأن يقرَّ الله تعالى بها عيني يوم القيامة .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه
عصام محمد الشريف
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

---

(١) الشهد والشوك في الحياة الزوجية – صالح بن عبد الله العيثم – ص (١٣٠ – ١٣٣) .

(١)

زوجتى لا تقدر للزوج قدره ، ولا تعى معني طلب مرضاة الزوج ، رغم ما تعيش فيه من رغد العيش ، ونعمة الأمان والاستقرار .

أحسب أن كل تقصير عند الزوجة تجاه زوجها أساسه أن الزوجة لا تفقه ولا تعى حقيقة مكانة الزوج في الإسلام، فضلاً عن مصيبة طول الأمل في الدنيا .

لقد تواترت الأحاديث والآثار والأخبار في بيان عظم مكانة الزوج، وعلو قدره وشأنه داخل البيت .

ولو أن كل زوجة فقهت هذه المكانة وعقلتها جيداً، لجنَّبت نفسها وبيتها مشاكل كثيرة هى في غنىً عنها

فهيا نتجول سويًا بين الأحاديث والآثار والأخبار، نسبر أغوارها، ونبحث في ثناياها عن المعانى الدقيقة والعظيمة التى تشتمل عليها هذه الأحاديث .

■ عن حُصين بن محصن قال: حدثتنى عمتى قالت: أتيت رسول الله ﷺ فقال: « **أى هذه ، أذات بعل؟** » قلت: نعم، قال: « **كيف أنت منه ؟** » قلت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه، قال: « **فانظرى أين أنت منه، فإنما هو جنتك ونارك** » [١] .

فانظرى أيتها الزوجة المسلمة وتدبرى: كيف كان الزوج سببًا لدخولك الجنة أو سببًا لدخولك النار، فإن أطعتيه ورضى عنك دخلت الجنة إن شاء الله بسبب ذلك، وإن عصيتى أمره وغضب عليك دخلت النار، وليس لذلك معنى إلا أن محل الزوج عظيم وقدره أكبر مما تتصوره الزوجة .

ومما يدل أيضًا على عظم قدر الزوج، وأن حقه عليها أعظم من حقها عليه

---

(١) قال المنذرى رواه أحمد والنسائى بإسنادين جيدين ، وقال الألبانى رحمه الله : إسناده صحيح « آداب الزفاف » ص (٢٩٥٨) .

أننا لم نجد النبي ﷺ يخاطب الرجال فيقول: فانظر أين أنت منها، فإنماهي جنتك ونارك .

إذن فالمرأة العاقلة هي التي تستخدم زوجها كالدَرَج تصعد عليه إلى طريق الجنة، والمرأة الغافلة هي التي تستهزئ ولا تبالي بذلك ولا تهتم، فتضيع منها سعادة الدنيا والآخرة .

■ وروى النسائي عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **نساؤكم من أهل الجنة الودود الولود العؤود علي زوجها ، التي إذا غضبت جاءت حتي تضع يدها في يد زوجها وتقول: لا أذوق غُمضًا حتى ترضى** »[١] .

ونحن نعلم جميعًا أنه لا يدخل الجنة أحدٌ – بعد فضل الله تعالى – إلا بتمام عبوديته لله تعالى وأعماله الصالحة، ومن أصناف أهل الجنة المرأة التي تتودد إلى زوجها، أي التي تفعل وتقول ما من شأنه تصل به إلى قلب زوجها ورضاه عنها، وما هذا إلا من عظم حقه عليها .

كذلك هي المرأة العؤود على زوجها التي إذا غضبت، وفي رواية للطبراني «**التي إذا ظُلمت** » ، ومعنى ذلك أن زوجها هو المخطئ بظلمها، ومع ذلك لا تستطيع أن تكتحل بنوم حتى تأتي هي إلى زوجها – مع أنها مظلومة – وتضع يدها في يده تلتمس رضاه عنها وتقول له: لن أشتهي بنوم ولن يقرَّ لي قرار، ولا أهدأ وأطمئن حتى ترضى عني، وما هذا إلا من عظم حقه عليها .

■ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **ما ينبغي لأحد أن يسجد لأحد ، ولو كان أحد ينبغي له أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها ، لما عظَّم الله عليها من حقه** »[٢] .

■ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **لا يصلح لبشر أن يسجد**

---

(١) قال الألباني : للحديث شواهد يتقوي بها « السلسلة الصحيحة » برقم (٢٨٧)
(٢) رواه ابن حبان ، و حسنه الألباني في « إرواء الغليل » برقم (١٩٩٨) .

لبشر ، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ، والذى نفسى بيده لو كان من قدمه إلي مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم استقبلته تلحسه ما أدت حقه » [١] .

■ وقال ﷺ : « من حق الزوج علي زوجته أن لو كانت به قرحة فلحستها ما أدت حقه » [٢] .

فهل للمسلمة الذكية العاقلة أن تتخيل هذه الصورة، وهى تستقبل زوجها تلحس ما به من قرحة مليئة بالقيح والصديد، ومع ذلك لم تؤد حقه ؟! هل فكرت المسلمة العاقلة ماذا يعنى هذا ؟ .

إن هذا يعنى أن حق الزوج وطلب مرضاته أعظم بكثير مما تتخيله المرأة التى إن رضيت على زوجها خلعت عليه كل أوصاف الكمال والجمال، وإن غضبت عليه خلعت عنه كل ذلك وقالت : ما رأيت منك خيرًا قط !

■ وقال ﷺ أيضًا : « والذى نفس محمد بيده لا تؤدى المرأة حق ربها حتي تؤدى حق زوجها كله حتي لو سألها نفسها علي قَتَب (رَحْل) لم تمنعه» [٣] .

فالمسلمة مطالبة بأداء حق ربها وحقوق العباد كلها، إلا أن النبى ﷺ يلفت انتباه صاحبة البيت أن قيامها بحق ربها – وهو أهم الحقوق ـ لن يكمل ولن يقبل عند الله تعالى إلا بأداء حق الزوج .

ألا يعنى ذلك يا صاحبة البيت أن حق زوجك عليك عظيم ؟!

■ وقال ﷺ ـ أيضًا ـ: « لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو دخيل (ضيف) عندك يوشك أن

---

(١) رواه أحمد بإسناد جيد (إرواء الغليل ٧ / ٥٥) .

(٢) صحيح : صحيح الجامع برقم (٣٢٤٨) .

(٣) رواه أحمد وابن ماجة ، و حسنه الألبانى فى « صحيح الجامع » برقم (٦٩١٥) .

يفارقك إلينا »(١) .

■ وقال ﷺ : « ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم : العبد الآبق حتي يرجع ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، وإمام قوم وهم له كارهون »(٢)، وفي رواية : « اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما : عبد آبق من مواليه حتي يرجع إليهم ، وامرأة عصت زوجها حتي ترجع »(٣) .

فلتحذر كل زوجة عاقلة عصيان زوجها في المعروف، وتجنب غضبه وسخطه عليها، فلاتسلك أى مسلك أو تقول أى قول يؤلمه أو يحزنه فتضل طريق الهدى.

فلا تُفشى له سرًا ولا تغتابيه، ولا تطعنى فيه، ولا تنالى منه بسبب مشكلة قامت بينكما، فما أكثر المشاكل في البيوت، ولو تعاملت معها المرأة بهذا المنطق المغلوط لخسرت كثيرًا من رضا الله تعالى ورضا زوجها .

■ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصَّنت فرجها ، وأطاعت زوجها ، قيل لها ادخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئت »(٤) .

■ وروى الطبرانى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « لو تعلم المرأة حق الزوج لم تقعد ما حضر غداؤه وعشاؤه حتي يفرغ منه »(٥)، أى أن المرأة لو تعلم عظم حق زوجها عليها لوقفت مدة دوام حضوره، حتى يفرغ من غدائه وعشائه .

قال المناوى رحمه الله :« وإذا كان هذا في حق نعمة الزوج وهى في الحقيقة من الله تعالى، فكيف بمن ترك شكر نعمة الله »(٦) .

---

(١) رواه الترمذى و حسنه ، وصححه الألبانى فى « صحيح الجامع » برقم (٧٠٦٩) ،والصحيحة برقم (١٧٣) .
(٢) رواه الترمذى و حسنه الألبانى (مشكاة المصابيح) برقم (١١١٢) .
(٣) أخرجه الطبرانى فى الصغير ، والحاكم ، و حسن الألبانى إسناده فى الصحيحة (٢٨٨) .
(٤) رواه ابن حبان فى صحيحه ، و صححه الألبانى فى « صحيح الجامع » برقم (٦٦١) .
(٥) صححه الألبانى فى « صحيح الجامع » برقم (٥٢٥٩) .
(٦) فيض القدير (٥/٣١٥) .

ولقد فهمت أمهات المؤمنين والنساء الصالحات من سلف هذه الأمة هذه المعانى العظيمة التى تبين لنا عظم قدر الزوج، فترجموا ذلك بالقول والعمل .

* فهذه السيدة عائشة ﵂ تقول لبكرة بنت عقبة : « إن كان لك زوج فاستطعت أن تنزعى مُقلتيك فتضعينهما أحسن مما هما، فافعلى »[١] .

* وعن عطاء الخراسانى عن عائشة ﵂ أنها قالت يومًا للنساء وقد اجتمعن عندها : « يا معشر النساء اتقين الله ربَّكن، وبالغن في الوضوء، وأقمن صلاتكن، وآتين زكاتكن طيبة بها أنفسكن، وأطعن أزواجكن في ما أحببتن أو كرهتن » .

* وعن الحسن بن يحيى أن عائشة ﵂ كانت تقول : « خليفة الله تعالى على المرأة زوجها، فإذا رضى عنها زوجها رضَى الله عنها، وإذا سخط عليها زوجها سخط الله عليها وملائكته » .

* وقالت أيضًا ﵂ : « من حق الزوج على المرأة : أن تلزم فراشه، وتتجنب سخطه، وتتبع مرضاته، وتوفر كسبه، ولا تعص له أمرًا، وتحفظه في نفسها، ولا تخونه في فرجها، وإذا فعلت ذلك كانت في الجنة » .

* وكانت أم الدرداء إذا حدثت بحديث عن زوجها قالت : حدثنى سيدى - يعنى أبا الدرداء - .

---

(١) طبقات ابن سعد (٨/ ٧٠) .

(٢)

زوجتي لا تقيم لطاعة الزوج قدراً، ولا تبالي بغضبي عليها وعدم رضائي عنها، تحلو معي فيما يوافق هواها، وتتمرد فيما لا يوافق مرادها

إن طاعة الزوج في غير معصية فرض على المرأة، وواجب عليها الحرص على طلب مرضاته، وعدم غضبه عليها .

وأى حياة زوجية هذه الحياة التى تعيشها هذه المرأة وهى لا تطيع زوجها إلا فيما يوافق هواها فقط، ولا تهتم بغضبه منها، ولا تتلمس مواطن رضاه فتأتيها .

إن الزوجة الصالحة التى ترجو الله والدار الآخرة تعرف أن ذلك من أهم أولوياتها داخل البيت انطلاقًا من عظم قدر الزوج والذى بينّاه في المسألة الأولى. ألم يجعل النبى ﷺ حرص المرأة على طاعة زوجها في غير معصية الله سببًا لدخولها الجنة ؟! ألم يثن النبى ﷺ على المرأة العؤود على زوجها التى لا تستطيع أن تكتحل بنوم وتهنأ بعيش حتى يرضى عنها زوجها ؟! .

وإلا فبأى شيء تريد المرأة أن تدخل الجنة والنبى ﷺ ينذرها إنذارًا شديداً بقوله : « **والذى نفس محمد بيده لا تؤدى المرأة حق ربها حتي تؤدى حق زوجها** » .

قال ابن قدامة رحمه الله : « معنى النشوز معصية الزوج فيما فرض الله عليها من طاعته، مأخوذٌ من النشز وهو الارتفاع، فكأنها ارتفعت وتعالت عما فرض الله عليها من الطاعات، فمتى ظهرت منها أمارات النشوز، مثل أن تتثاقل وتترفع إذا دعاها، ولا تصير إليه إلا بتكرهٍ ودمدمة فإنه يعظها، فيخوفها الله سبحانه ويذكر ما أوجب الله له عليها من الحق والطاعة، وما يلحقها من الإثم بالمخالفة والمعصية، وما يسقط بذلك من النفقة والكسوة، وما يباح له من ضربها وهجرها »(١) .

(١) المغني لابن قدامة (١٠/٢٥٩) .

فلتحذر كل عاقلة عصيان زوجها والنشوز عليه، فإن ذلك إثم كبير، لاسيما إذا كان زوجك صالحًا تقيًا غير مقصر في حقك، ولا ظالم لك .

ثم إذا كان زوجك مقصرًا لأى سبب من الأسباب، فإن ذلك ليس سببًا شرعيًا ولا عرفيًا لعصيانه، وإنما بالنصح المؤدب والمعروف تنال الحقوق .

ويكفي أن تعلم الزوجة العاقلة أن عصيانها لزوجها وكثرة معارضتها له إنما ذلك من أذيته، وأذيته حرام، لقوله ﷺ : « **لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو دخيل عندك يوشك أن يفارقك إلينا** »(١) .

فالرسول ﷺ يخبر عن غيب لا نعلمه، ولماذا أعلمه الله تعالى بهذا الغيب إلا لأن أذية الزوج أمر عظيم يغضب الله ورسوله ﷺ .

إن (على المرأة خاصة أن تطيع زوجها فيما يأمرها به في حدود استطاعتها وهذه الطاعة أمر طبيعى تقتضيه الحياة المشتركة بين الزوج والزوجة، ولا شك أن طاعة المرأة لزوجها يحفظ كيان الأسرة من التصدع والإنهيار، وتبعث إلى محبة الزوج القلبية لزوجته، وتعميق رابطة التآلف والمودة بين أعضاء الأسرة، وتقضى على آفة الجدل والعناد التى تؤدى في الغالب إلى المنازعة، وتعطى الرجل أحقية القوامة ورعاية الأسرة بما وهبه الله من خصائص القوة والتعقل، وبما كلفه من مسؤولية الإنفاق، فإن هذا مما فضل الله به الرجال على النساء، كما في قوله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ ﴾ [النساء: ٣٤] أى مطيعات لأزواجهن ﴿ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [النساء: ٣٤]

وقد جاءت أحاديث كثيرة صحيحة مؤكدة لهذا المعنى، ومبينة بوضوح ما للمرأة وما عليها إذا هى أطاعت زوجها أو عصته ؛ منها: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه

---

(١) قد مر تخريجه .

قال: قيل لرسول الله ﷺ: أى النساء خير؟ قال: « التى تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره ») [١].

تنبيه: حق الزوج على المرأة أعظم من حق والديها:

يُروى عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ: أى الناس أعظم حقًا على المرأة؟. قال: « زوجها ». قلت: فأى الناس أعظم حقًا على الزوج؟ قال: « أمه » [٢].

وقد تقدم خبر الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدَّت عليهم الغار، فقالوا: « إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم، قال رجل منهم: « اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أَغْبِقُ [٣] قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بى طلب الشجر يومًا) الحديث، والشاهد أن النبى ﷺ ذكر ذلك في مقام الثناء على هذا الرجل ببر والديه، وتقديم حقهما والإحسان إليهما على الزوجة والأبناء لاسيما عند التعارض، والله أعلم.

وقد تقدم من بيان أدلة عظم حق الوالدين ما فيه كفاية، أما عظم حق الزوج على زوجته، وأولويتها على حق والديها لا سيما إذا وقع بينهما تعارض، فقد بينه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فقال: « قوله: ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ يقتضى وجوب طاعتها لزوجها مطلقًا: من خدمة، وسفرٍ معه، وتمكينٍ له، وغير ذلك كما دلت عليه سنة رسول الله ﷺ في حديث « الجبل الأحمر » وفي « السجود » وغير ذلك؛ كما تجب طاعة الأبوين؛ فإن

---

(١) عودة الحجاب للشيخ محمد إسماعيل حفظه الله (٢ / ٤٤١)، والحديث رواه النسائى وغيره، و صححه الألبانى فى « الصحيحة » برقم (١٨٣٨).

(٢) رواه الحاكم (٤ / ١٥٠)، (٤ / ١٧٥)، وقال: « هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه »، وقال المنذرى فى « الترغيب »: (رواه البزار والحاكم، وإسناد البزار حسن) اهـ. (٣ / ٥٣)، والحديث ضعفه الألبانى فى « ضعيف الجامع » (١ / ٣٠٤)، وانظر: « مجمع الزوائد » (٤ / ٣٠٨).

(٣) أى لا أقدم فى الشرب قبلهما أهلاً، ولا مالاً من رقيق وخدم، و **الغبوق**: شرب العشي.

كل طاعة كانت للوالدين انتقلت إلى الزوج، ولم يبق للأبوين عليها طاعة: تلك وجبت بالأرحام، وهذه وجبت بالعهود »[١] . اهـ .

وقال شيخ الإسلام أيضًا: « وليس على المرأة بعد حق الله ورسوله أوجب من حق الزوج »[٢] . اهـ .

وقال رحمه الله في موضع آخر: « ... فالمرأة عند زوجها تشبه الرقيق والأسير، فليس لها أن تخرج من منزله إلا بإذنه، سواء أمرها أبوها أو أمها أو غير أبويها باتفاق الأئمة .

وإذا أراد الرجل أن ينتقل بها إلى مكان آخر مع قيامه بما يجب عليه وحفظ حدود الله فيها، ونهاها أبوها عن طاعته في ذلك: فعليها أن تطيع زوجها دون أبويها ؛ فإن الأبوين هما ظالمان ؛ ليس لهما أن ينهياها عن طاعة مثل هذا الزوج، وليس لها أن تطيع أمها فيما تأمرها به من الاختلاع منه أو مضاجرته حتى يطلقها: مثل أن تطالبه من النفقة والكسوة والصداق بما تطلبه ليطلقها، فلا يحل لها أن تطيع واحداً من أبويها في طلاقه إذا كان متقيًا لله فيها، ففي السنن الأربعة، وصحيح ابن أبي حاتم عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: « **أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس**[٣] ، **فحرام عليها رائحة الجنة** »[٤]

وفي حديث آخر: « **المختلعات والمنتزعات هن المنافقات** »[٥] وأما إذا أمرها

---

(١) « مجموع الفتاوى » (٣٢ / ٢٦٠ - ٢٦١) . (٢) « السابق » (٣٢ / ٢٧٥) .

(٣) أى من غير حالة شدة تدعوها، وتلجئها إلي المفارقة ، كأن تخاف أن لا تقيم حدود الله فيما يجب عليها من حسن الصحبة ، وجميل العشرة ، لكراهتها له ، أو بأن يضارها لتختلع منه، انظر: « فيض القدير » (٣ / ١٣٨) .

(٤) رواه الترمذى رقم (١١٨٦) ، (١١٨٧) ، فى الطلاق : باب ما جاء فى المختلعات ، وقال الترمذى : « هذا حديث حسن » ، وأبو داود رقم (٢٢٢٦) فى الطلاق : باب الخلع ، وابن ماجه رقم (٢٠٥٥) ، والإمام أحمد (٥ / ٢٧٧) ، والدارمى (٢ / ١٦٢) ، وابن حبان (١٣٢٠) ، والبيهقى (٧ / ٣١٦) ، وابن أبى شيبة (٥ / ٢٧١) ، والحاكم (٢ / ٢٠٠) ، وقال : « صحيح علي شرط الشيخين » ، ووافقه الذهبى ، وصححه ابن حجر ، وابن خزيمة كما فى « فيض القدير » (٣ / ١٣٨) ، وصححه الألبانى فى « الإرواء » (٧ / ١٠٠) .

(٥) رواه من حديث أبى هريرة ﷺ النسائى (٦ / ١٨٦) فى الطلاق : باب ما جاء فى الخلع . والإمام أحمد (٢ / ٤١٤) ، وهو من القليل الذى سمعه الحسن من أبى هريرة ﷺ ، وقد صححه الألبانى فى « الصحيحة » رقم (٦٣٢) وذكر له شواهد ، و« المنتزعات » اللاتى ينتزعن أنفسهن بمالهن من كنف أزواجهن .

أبواها أو أحدهما بما فيه طاعة الله : مثل المحافظة على الصلوات، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، ونهياها عن تبذير مالها وإضاعته، ونحو ذلك مما أمر الله ورسوله أو نهاها ورسوله عنه : فعليها أن تطيعهما في ذلك، ولو كان الأمر من غير أبويها، فكيف إذا كان من أبويها؟! .

وإذا نهاها الزوج عما أمر الله، أو أمرها بما نهى الله عنه : لم يكن لها أن تطيعه فى ذلك، فإن النبى ﷺ قال : « **إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق** » بل المالك لو أمر مملوكه بما فيه معصية لله لم يجز له أن يطيعه في معصيته، فكيف يجوز أن تطيع المرأة زوجها أو أحد أبويها في معصيته ؟! فإن الخير كله في طاعة الله ورسوله، والشر كله في معصية الله ورسوله) [١] . اهـ .

فيا أيتها الزوجة العاقلة:

(أشبعي غرور زوجك، فالزوجة الذكية اللبقة هي التي تحرص على استرضاء زوجها، وكسب مودته ومحبته ببعض الكلمات الرقيقة الحانية، والثناء عليه، وعلى كرمه، وتبالغ في مديح زوجها، وتحدثه عن عطفه حتى ولو كانت هذه المشاعر غير حقيقية، فهذا ليس كذبًا، ولكنه كما أباحه محمد ﷺ كذب حلال في مشاعر الزوجة لإرضاء زوجها واستمالته وكسب حبه ومودته) [٢] .

(إن المرأة المسلمة الحصيفة الودود تتعرف على ميول زوجها ورغباته وعاداته وتعمل على مراعاتها، ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، ابتغاء التفاهم والانسجام في مسيرة الحياة الزوجية، ودفعًا للسأم والتذمر من رتابتها، وهذا ما تفعله كل امرأة ذكية واعية نابهة ؛ فقد رُوِىَ عن شُرَيْح القاضى الفقيه أنه تزوج امرأة من بنى حنظلة، وفي ليلة الزفاف صلَّى كلٌّ من الزوجين ركعتين، وسألا الله لهما الخير، ثم أقبلت الزوجة على شُريح قائلة : إنى امرأة غريبة، لا علم لى بأخلاقك

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٢ / ٢٦٣ – ٢٦٤) .

(٢) أسرار الزواج السعيد – بثينة العراقى – ص (١٩٧) .

فبيِّن لي ما تحب فآتيه، وما تكره فأبتعد عنه .. ويقول شُرَيْح: مكثَت معي عشرين سنة لم أعتب عليها في شيء، إلاَّ مرة واحدة كنت لها ظالمًا .

هذه هي الزوجة البرَّة الودود التي يريدها الإسلام، راعيةً لبيتها، وفيَّة لزوجها، حريصةً على دوام العشرة بينهما، وإذا ما هبَّت على حياتهما الزوجية رياح مكدِّرة سارعت إلى تنقية الجو بالتودد الصادق والتفاهم الحكيم، ولا تسمع إلى وسوسات الشيطان ونزغات النفس الأمارة بالسوء، فتسارع إلى طلب الطلاق من زوجها ؛ ذلك أن عقدة الزوجية أجل وأكبر من أن تنفصم عُراها لخلاف عارض أو سوء تفاهم ناشز، ولذلك توعَّد رسول الله ﷺ المرأة الخفيفة الطائشة الحمقاء المُسارعة إلى طلب الطلاق من زوجها لغير ما سبب شرعي قاهر بحرمانها من رائحة الجنة، إذ قال: « **أيُّما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير بأس[1] فحرامٌ عليها رائحة الجنة** »[2])[3] .

---

(١) من غير عذر شرعي أو سبب قوي .

(٢) رواه الترمذي وابن حبان ، وقال الألباني : صحيح . « صحيح سنن الترمذي » (٩٤٨) .

(٣) شخصية المرأة المسلمة – د . محمد علي الهاشمي – ص (١٨١، ١٨٢) .

(٣)

زوجتي لا تهتم بزينتها ونظافتها ورائحتها بالقدر الذى يسعدني ويعفني عن النظر إلى غيرها .

إن من عادات النساء المعروفة قديمًا وحديثًا اهتمام المرأة بزينتها ونظافتها وجمالها وملبسها لاسيما وأن ذلك فطرة مركوزة في المرأة، ولكن العجب والغريب أن نرى المرأة تهتم بذلك أمام غيرها من النساء لاسيما في المناسبات، وتهمل ذلك أمام الزوج، أو تقوم به ولكن ليس بالدرجة المطلوبة .

فهذه لا تهتم بوضع الطيب والمساحيق إلا عند اللقاء بزوجها !! .

وهذه لا تهتم بكلامها المعسول وملبسها الجميل إلا إذا كان لها طلبٌ عند زوجها !!

وأخرى لا تهتم بذلك إلا في المناسبات كالأعياد والأفراح !!

وأخرى لا تهتم بدعوى أن الأولاد قد كبروا والزوج قد كبر، ولا داعي لذلك الآن !!

وكل هذه الأقوال وغيرها أقوال ساقطة لا وزن لها عقلاً ولا شرعًا .

(فالزوج يحتاج إلى الكلمة الطيبة، واللمسة الحانية، والعاطفة الرقيقة، ويُسر بما يروق عينه، ويبهج نفسه ويفرح قلبه .

وكثير من الزوجات لا تُعنى بمظهرها أمام الزوج، فلا تلبس الجميل، ولا تتعاهد بدنها بالنظافة، ولا تتطيب لزوجها، ولا تراعي ما يروق من الروائح الطيبة، وإذا أقبلت عليه أقبلت بملابس رثة، ورأس ثائر أشعث، وروائح تنبعث منها آثار الطبخ، وإذا تكلمت تكلمت بصوت أجش كجرس الرحى، أما الابتسامة فلا يكاد ثغرها يفتر عنها .

ثم هي إذا أرادت الخروج لزيارة أقاربها أو صويحباتها، تبدَّلت حالها السابقة رأسًا على عقب، فلا تخرج إليهم إلا بأبهى حُلة، وأطيب ريح، حتى إنه ليخيل إلى من رآها أنها في ليلة عرسها، فهذه حلى مطرزة، وتلك حواجب مُزججة، وهذه عيون مكحولة، فلا يكون نصيب الزوج من ذلك إلا رؤيتها إذا أرادت الخروج للزيارة .

إن هذا الصنع لمن أشنع الخصال، وإن امرأة تقوم به لجديرة بأن تعيش حياة نكدة، وأن تجلب على نفسها وعلى زوجها البلاء والشقاء إذا ما صبر عليها، وأبقاها زوجة له، والغالب أن مثلها لا تبقى مع الزوج إلا إذا كان مضطرًا إليها اضطرارًا يلجئه إلى الإبقاء عليها) [١] .

ومن العجب أن نرى المرأة تذهب وتشكو لأهل العلم :

زوجي يريد أن يطلقني ! أو زوجي يشتمني ! أو زوجي يضربني أو يعاملني معاملة سيئة ! . ولا تدري أنها هي السبب بسوء سلوكها هذا وعدم الاهتمام بنفسها أمامه .

إن الزوجة العاقلة الرشيدة التي تخاف ربها وتسعى لسعادتها وسعادة أسرتها هي التي تسعى إلى مرضاته ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، فتهتم بمظهرها وزينتها ورائحتها حتى تظهر أمامه في أجمل حلة وأبهى زينة وأحسن شكل، حتى يراها كأجمل امرأة في العالم .

الجمال هو رأس مال الزوجة وسبيلها إلى قلب زوجها، وليس للزوجة -مثلاً- أن تهمل زينتها اعتماداً على أنها جميلة، لأن الجمال في حاجة إلى الرعاية، وهو كالزهرة إن لم يتعهدها ساقيها ذبلت ولفحتها الشمس، والجمال الذي لا يتجدد ولا يشذب يصبح كالشجرة التي تمتد أغصانها على غير نظام وكالماء الذي لا يحركه تيار الهواء فيصيبه العفن .

---

(١) من أخطاء الزوجات ، محمد بن إبراهيم الحمد، ص (١١) .

وبعض النساء يهملن في زينتهن بسبب فكرة خاطئة تسيطر على عقولهن، وهي أن الكلفة لم تعد لها وجود بينها وبين زوجها، وأنه لم يصبح رجلاً غريبًا عنها، فلا بأس بالظهور أمامه بأي مظهر، وهذا أسوأ ما يكرهه الرجل في زوجته، ويبغض منها هذا الإهمال ؟

فهل تعي الزوجات المحترمات ذلك الكلام ؟! .

وتحت عنوان «التزين والتطيب» قول الأستاذ/ إسماعيل عبد القادر:

(الزواج كائن حي، لا يبقى على قيد الحياة إلا بما يطرأ عليه من نماء وتجدد كل يوم، فإذا عجز الزوجان عن إعطائه من العناية ما يستحق، فسيتحول إلى نوع من التفاهة ، إنه يقدم مسرات ويحقق مكاسب طالما نهفو إليها، ولكن هذه المكاسب وتلك المسرات تجيء مكافأة على عمل نقوم به وليست منحة خالصة، ولذلك ينبغي أن تتعرض العلاقة الزوجية لتجدد مستمر، فالحياة تعني النمو، والنمو يعني التجدد، وسيرها على وتيرة واحدة شيء ممل، والإنسان بطبعه يميل إلى التجديد، والحياة الزوجية كجزء من الحياة العامة ينطبق عليها ذلك .

والطبائع السوية والفطر المستقيمة تحب الجمال في كل شيء، والله سبحانه وتعالى يحب الجمال، فقد ورد في الحديث : « **إن الله جميل يحب الجمال ، ويحب أن يري أثر نعمته علي عبده ويبغض البؤس والتباؤس** »[١] .

فالزوجة التي تجدد في مظهرها، ليراها زوجها متعطرة، متزينة من أجله، بما يجذب إليها الزوج ويغض به بصره عن التطلع إلى الحرام أقدر على إيجاد جو المحبة والسعادة في بيتها، ولأن سرور الرجل راجع إلى مظهر الزوجة واعتنائها بنفسها .

ولذلك فإنه على المرأة أن تواظب على النظافة والتزيُّن لزوجها[٢]، فذلك

---

(١) صحيح : رواه البيهقي في شعب الإيمان (٦٢٠١) عن أبي سعيد الخدري . وانظر « صحيح الجامع » (١٧٢٢) .

(٢) وليس من الزينة إطالة المرأة أظفارها وطليها كما تفعل الغربيات ، ولا أن تنقض الحاجب أو تأخذ منه ، ولا أن تصل الشعر بما يسمي الباروكة .

أدعى لشهوة الرجل وأملأ لعينه وأظهر لمحاسن المرأة وأدوم للألفة والمودة .

لأن الزينة متعة للعين ومتعة للشم، والإنسان يسعد برؤية الشيء المزين، وشم الروائح الطيبة .

وعليها أن تحرص أن لا تظهر أمامه بما يسبب اشمئزازه ونفوره منها بملابس رثة أو روائح كريهة .

وقد حث نبي الإسلام ﷺ النساء على الزينة، فقد رأى امرأة أهملت زينة يديها فقال لها : « **ما أدرى أيد رجل أم يد امرأة** » قالت : بل امرأة. قال : « **لو كنت امرأة لغيرت أظفارك** ـ يعني بالحناء ـ »[1]، أي زينيها بالحنة أو بما يزين به النساء أيديهن .

ولو علمت النساء مدى الفزع والجزع وانغلاق النفس والقلب من الروائح الكريهة والعفنة، لعذرن الأزواج في هذه الحالة إذا تجنبوا الاقتراب منهن للحديث العادي فضلاً عن محاولة القبلة أو المداعبة أو اللقاء .

ولذلك قال أحدهم : « لا شيء يهدد العلاقة الجنسية بالفشل الكامل قدر بخر الفم، وعفن اللثة والأسنان عند الزوج والزوجة معًا » .

ولذلك لم ير الإسلام مانعًا من تزين المرأة لزوجها، بل هو يحب أن يدخل الزوج على زوجته فيجدها حسناء فاتنة، تسره إذا نظر إليها، وتحفظه إن غاب عنها، وتفتنه بجمالها ودلالها .

فعلى المرأة أن تبذل في ذلك أقصى ما تملك من جهد للفوز بقلب زوجها وللمحافظة على دفء العلاقة بينهما بما تبديه من رقة ودلال وجمال لقصر رغبات زوجها عليه .. فعليها أن تحسن اختيار اللباس المناسب لسنها ولونها وأن تراعي الألوان التي يحبها الزوج لا التي تحبها صديقاتها من النساء، وترتدي الملابس الجميلة لزوجها، القصير منها والطويل، الشفاف منها والسميك .

(١) حسن : رواه أبو داود (٤١٦٦) وغيره عن عائشة ﵂ وانظر « صحيح سنن أبي داود » (٣٥١٠) .

ومن الزينة أيضًا تصفيف شعرها وتجميله، وإزالة الشعر الزائد والاعتناء بنظافة جسدها، ورشاقته متجنبة السمنة والبدانة لأن رشاقة البدن جمال .

والمرأة هي الأخرى تحب أن ترى من الرجل ما يرى منها، ويعجبها منه ما يعجبه منها، ويخطئ الكثير من الرجال حين يرى أن المرأة يعجبها الرجل على كل حال من أحواله، سواء أكان قذر الثوب، خبيث الرائحة، أبخر الفم أم كان نظيفًا طيب الرائحة، ولكن المرأة كائن حي عاقل له ذوق قد يكون أرق من ذوق الرجل، فكيف يهدر إحساسها وذوقها على هذه الصورة التي بقيت من تراث الجاهلية ؟

إنها تحس كما يحس الرجل، وأكثر مما يحسه في هذه الناحية، ولكن الحياء قد يمنعها من مواجهة الرجل بهذه العيوب التي تباعد بين قلبها وبينه وتحرمها من متعة الانسجام الجنسي معه .

ولذلك كان سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما يقول : « إني لأتزين لزوجتي كما أحب أن تتزين لي » . وهذا عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو أشبه الصحابة هديًا برسول الله ﷺ يفعل ذلك ويقول : أفلا تحبه من امرأتك ؟ .

إن تزيُّن كل من الزوجين للآخر من أهم الأمور في سعادتهما الزوجية إذ يجعل في علاقتهما حيوية ويغمرها بالبهجة والسرور، لأن كلاً منهما يرى صاحبه في صورة جديدة وشكل جديد، يطردان بذلك من حياتهما الملل والسآمة لتكون الحياة كلها حركة وعملاً ونشاطًا .

وقد رُوي أنه دخل على الخليفة الفاروق رجل أشعث أغبر ومعه امرأته وهي تقول : لا أنا ولا هذا يا أمير المؤمنين . فعرف عمر كراهية المرأة لزوجها، فأرسل الزوج ليستحم، ويأخذ من شعره، ويقلم أظافره .

فلما حضر أمره أن يتقدم من زوجته، فاستغربت ونفرت منه، ثم عرفته فقبلت به ورجعت عن دعواها، فقال عمر : « .. وهكذا ، **فاصنعوا لهن، فوالله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهن كما تحبون أن يتزينَ لكم** » .

هكذا ينهج الإسلام بأهله منهج تجديد العواطف والعلاقة الجنسية لاستبقاء الزوجة ريحانة البيت، تنشر في أرجائه البهجة والفرح والسرور، وتتحدد بذلك حيوية الرجل فلا يضعف لطول الهجران، وذبول زهرة البيت، فهما من ثم يمد كل منهما الآخر بأسباب الحيوية والبهجة والقوة)[١] .

ويقول الأستاذ / محمد رشيد العويد :

(في دراسة عن نسب الطلاق ؛ تبين أن حالاته تزيد بين السنة الرابعة عشرة إلى السنة العشرين .. عن حالاته بين السنة الثالثة وحتى الرابعة عشرة بعد الزواج .

أي أن احتمالات الطلاق تزيد مع تقدم عمر الزواج، مع أن المتوقع أن تتراجع احتمالاته لافتراض زيادة التفاهم بين الزوجين، وطول العشرة وكثرة الأولاد .

فالإحصاء يظهر أن الطلاق في ست سنوات (١٤ إلى ٢٠) أكثر منه في إحدى عشرة سنة (٣ إلى ١٤) .

تعالي حفيدتي الغالية نبحث معًا عن أسباب زيادة الطلاق كلما تقدم عمر الزواج.

قد يكون السبب في أن الزوج يكون حريصًا على بقائه مع أطفاله، فإذا ما طلق زوجته وأطفاله صغار؛ فإنهم سيبقون مع أمهم لتمضية فترة الحضانة، لكن بعد مضي أكثر من عشر سنوات، سيصبح الأطفال في السن التي يكون فيها من حق الأب الاحتفاظ بهم .

وقد يكون الزوج في بداية زواجه قليل المال، فقير الحال، لا يستطيع طلاق زوجته للزواج بأخرى . فإذا ما مرت السنون،وفتح الله عليه من عطائه، بدأت قوته المالية تسهّل عليه الطلاق ... والزواج بأخرى .

---

(١)متعة الحياة الزوجية ، ص (٦٣ - ٦٦) .

وقد تكون الزوجة هي السبب .. حين يكبر سنّها، فتهمل نفسها، ولا تكترث بشكلها، فلا تعرف الزينة إلى وجهها سبيلاً، وتنسى التجمل لزوجها .. فيمل الزوج، ويضيق، وهو يرى ما يفتنه خارج بيته، ولا تحصّنه زوجته التي في بيته .

وأريد – حفيدتي الغالية – أن أقف بك عند هذا السبب الأخير، فهو وراء انصراف معظم الأزواج عن بيوتهم، ووراء نسب الطلاق المرتفعة، ووراء خيانات كثير من الأزواج .

وأسألك : لماذا لا تتزينين لزوجك ؟ لماذا تهملين شكلك أمام زوجك .. ولا تهملينه أمام صديقاتك وقريباتك وجاراتك ؟

إذا أردت استقبال نسوة في بيتك ؛ أخرجت أجمل ما عندك من الثياب، وذهبت إلى الكوافيرة لتجعل شعرك في أحسن تسريحة، وتفنّنت في وضع الماكياج على وجهك !، وتتحرجين أشد الحرج إذا زارتك نساء وأنت لست في أجمل حلة وأبهى زينة، وأحسن شكل .. بينما لا تبالين إذا رآك زوجك في أي شكل، وإذا مضى شهر دون أن تتزيني له، وإذا شم منك رائحة القلي .. ولم يشم منك رائحة العطر الطيب .

فهلاً راجعت نفسك حفيدتي وتدبرت أمرك، وفكرت في زوجك، واهتممتِ أمامه بشكلك ؟!) (١) .

---

(١) قالت لي جدتي – نصائح وتوجيهات إلى جميع الزوجات ـ ص (٤٧ – ٥٠)

(٤)

زوجتي كثيرة الطلبات والتطلعات الدنيوية ، وكلمات الشكر لي لا تعرف لسانها طريقاً إلا قليلاً .

إن من الزوجات من لا تراعي أوضاع زوجها المالية، فترهقه بكثرة الطلبات، ولعل أهم الدوافع لها في ذلك محاكاة مثيلاتها من النساء سواء في العمل أو من جيرانها أو أقاربها، لكي تزهو وتفخر عليهن، أو على الأقل حتى لا تكون أقل منهن في الملبس والزينة ونحو ذلك، وما هذا إلا من التفات القلب لغير الله تعالى.

إن الزوجة العاقلة هي التي (تقدر طاقة زوجها، فلا ترهقه من أمره عسراً، ولا تهدر ماله أشراً وبطراً، ولا تثقل كاهله بكثرة متطلباتها خصوصاً ما ليس بضرورة ؛ لأن ذلك يشق عليه ويؤلمه، فلا يستطيع تحقيق هذه المطالب، ويعز عليه أن يظهر أمامها بمظهر العاجز الذي لا يستطيع تنفيذ ما تطلب .

فما أجمل الزوجة أن تصحب زوجها بالقناعة، فلا تتطلع إلى غيرها، ولا تمد عينها إلى محاكاة أقرانها في اقتناء الكماليات .

بل عليها أن تحفظ على زوجها كرامته، وأن تتأسى بأمهات المؤمنين رضي الله عنهن فقد كانت حالتهن كفافاً، وربما خلت بيوتهن من الطعام .

وإذا لم تسعدها الحال في مجاملة الأقارب والمعارف في نحو الهدية وغيرها، فليسعدها النطق بالكلمة الطيبة، والرسالة المعبرة، والتهنئة الرقيقة، فربما كان ذلك أوقع أثراً من هدية يصحبها الفخر والزهو، وربما المن والأذى والإذلال .

وكما أن عند غيرها ما ليس عندها - فقد يكون عندها ما ليس عند غيرها، فحري بها أن توسع نظرتها، وألا تقتصر على مجرد الأمور الظاهرة فحسب)[١].

(١) من أخطاء الزوجات - ص (٢٧) .

إن الزوجة التي تفكر في إعداد بيت الآخرة هي الزوجة التي لا يشغلها بيت الدنيا بزينته وخيلائه، وعلى قدر ما في القلوب تكون الهمة ويكون العمل، فمن كان قلبها مملوءً بمحبة الله تعالى وإيثار ما عنده على ما في الدنيا، كانت همتها وعملها للآخرة، ومثلها لا تشغل نفسها بزينة الدنيا، ولا ترهق زوجها، لأن الآخرة شغلتها عن كل ذلك .

وللمرء أن يتعجب من بعض الزوجات اللائي يكفرن العشير ويكفرن الإحسان، لو أحسن إليها المرء ما أحسن على قدر طاقته، ثم رأت منه مرة أو أكثر موقفًا لا يعجبها، قالت : ومنذ متى رأيت معه النعمة أو السعادة ؟! .

يا أيتها الزوجة العاقلة إن من حق زوجك عليك الاعتراف له بنعمته، وشكره على ما يقوم به من العمل والتعب ليأتي إليك وأولادك بما في وسعه من مطعم ومشرب وملبس ونحو ذلك، فهلاً دعوتي له بالعوض والإخلاف، وأظهرت له الفرح بما يأتي به حتى ولو كان قليلاً، فتدخلين بذلك السرور على قلبه، وتدفعينه إلى مزيد من الإحسان .

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه** » (١) .

فأي زوجة عندها من الإيمان رائحته تخاف إن هي لم تشكر زوجها ألا ينظر الله تعالى لها، وإن لم يكن هناك من أمر أشدٌ من ذلك لكان كافيًا لكل امرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تستحي من الله تعالى، وتكثر دائمًا من كلمات الشكر والثناء لزوجها حتى تكسب رضا الله تعالى .

وعن أسماء بنت يزيد الأنصاري قالت : مرَّ بي النبي ﷺ أنا وجوارٍ أتراب لي فسلم علينا، وقال : « **إياكن وكفر المنعمين** » وكنت من أجرأهن على مسألته، فقلت : يا رسول الله وما كفر المنعمين ؟ قال : « **لعل إحداكن تطول**

---

(١) رواه النسائي وغيره ، وصححه الألباني رحمه الله في « الصحيحة » برقم (٢٨٩) .

أيمتها من أبويها ، ثم يرزقها الله زوجًا ، ويرزقها ولدًا ، فتغضب الغضبة ، فتكفر ، فتقول : ما رأيت منك خيرًا قط » (١) .

إن قليلين من البشر هم الذين لا يغفلون عن شكر ربهم على نعمه الجليلة عليهم، ويستكثرونها على أنفسهم، فيدفعهم ذلك إلى استعظامها، وتقديرها حق قدرها، والامتنان لخالقهم عليها، وهؤلاء يجدون دائمًا أنه من كمال الشكر أن يشكروا من أجرى نعمته هذه على أيديهم، ويؤمنوا بما جاء به الحديث الشريف ﷺ « **من لم يشكر الناس لم يشكر الله** » فإن لم يتسلح المرء بهذا الاستعداد الإيماني لشكر خالقه كل يوم وكل لحظة على نعمه الجليلة أيًّا كان نصيبه منها سقط في هوة عدم القناعة وقلة الشكر .

إن بخس الناس أقدارهم خاصة من جانب الزوجين لبعضهم البعض يحبطهم، ويملأ نفوسهم بالمرارة، وتقبض أيديهم عن مواصلة العطاء، ويذكرهم بمعان كريهة كالجحود والنكران والميل الدائم لانتقاص أقدار الآخرين والاستهانة بعطائهم والضن عليهم بما يستحقون من تقدير وتكريم .

إن من النساء من يعشن حياة ناعمة ولكن للأسف بعد اعتيادهن عليها تصبح عندهن من مألوف الحياة، وهذا من « فشل الروح » الذي يهدد سعادة المرء في الدنيا، وتفقده الاستمتاع بالقدر المتاح له من السعادة .

وصدق الشاعر إذ يقول :

من يكُ ذا فم مريض يجد مُرًا به الماء الزلالا

فالإنسان الجاحد، والذي يغفل عن النعم التي يرفل فيها، هو إنسان مريض مهما رأى من نعم فهو لا يشعر بها، وهذا من سوء الطوية والغاية إن لم يتدارك نفسه بالأوبة إلى الله تعالى .

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد وغيرهما ، و صححه الألباني رحمه الله في « صحيح الأدب المفرد » برقم (٨٠٠) .

وهذا مثل رائع نهديه لكل مسلمة كي تجعله نصب عينيها، ونبراسًا في طريقها إلى الله فتقتدي به، وتخلع عن نفسها حب الدنيا، وتقنع بما عند الله عز وجل الذي ينسيها هذا المتاع الزائل .

يقول الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله :

(ومن فضول القول أن أشير إلى أن عروس عمر بن عبد العزيز كانت في بيت أبيها تعيش في نعمة لا تعلو عليها عيشة امرأة أخرى في الدنيا لذلك العهد، ولو أنها استمرت في بيت زوجها تعيش كما كانت تعيش قبل ذلك لتملأ كرشها في كل يوم وفي كل ساعة بأدسم المأكولات وأندرها وأغلاها، وتنعم نفسها بكل أنواع النعيم الذي عرفه البشر، لاستطاعت ذلك . إلا أني لا أذيع مجهولاً من الناس إن قلت : إن عيشة البذخ والترف قد تضرها في صحتها من حيث يتمتع بالعافية المعتدلون، وقد تكسبها هذه العيشة الحقد والكراهية من أهل الفاقة والمعدمين، زد على ذلك أن العيشة مهما اختلف ألوانها تكون مع الاعتياد مألوفة ومملولة، والذين بلغوا من النعيم أقصاه يصطدمون بالفاقة عندما تطلب أنفسهم ما وراء ذلك فلا يجدونه، بينما المعتدلون يعلمون أن في متناول أيديهم وراء الذي هم فيه، وأنهم يجدونه متى شاءوا غير أنهم اختاروا التحرر منه ومن سائر الكماليات ليكونوا أرفع منها وليكونوا غير مستعبدين لشهواتها .

ولذلك اختار الخليفة الأعظم عمر بن عبد العزيز - في الوقت الذي كان فيه أعظم ملوك الأرض - أن تكون نفقة بيته بضعة دراهم في اليوم، ورضيت بذلك زوجة الخليفة التي كانت بنت خليفة وأخت أربعة من الخلفاء، فكانت مغتبطة بذلك لأنها تذوقت لذة القناعة وتمتعت بحلاوة الاعتدال، فصارت هذه اللذة وهذه الحلاوة أطيب لها وأرضى لنفسها من كل ما كانت تعرفه قبل ذلك من صنوف البذخ وألوان الترف . بل اقترح عليها زوجها أن تترفع عن عقلية الطفولة فتخرج عن هذه الألاعيب والسفاسف التي كانت تبهرج بها أذنيها وعنقها وشعرها

ومعصميها مما لا يسمن ولا يغني من جوع ولو بيع لأشبع ثمنه بطون شعب برجاله ونسائه وأطفاله، فاستجابت له وارتاحت من أثقال الحلي والمجوهرات واللآلئ والدرر التي حملتها معها من بيت أبيها، فبعثت بذلك كله إلى بيت مال المسلمين . وتوفي عقب ذلك أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ولم يخلف لزوجته وأولاده شيئًا، فجاءها أمين بيت المال وقال لها : إن مجوهراتك يا سيدتي لا تزال كما هي، وإني اعتبرتها أمانة لك، وحفظتها لهذا اليوم، وقد جئت أستأذنك في إحضارها . فأجابته بأنها وهبتها لبيت مال المسلمين طاعة لأمير المؤمنين، ثم قالت : « وما كنت لأطيعه حيًا وأعصيه ميتًا » . وأبت أن تسترد من مالها الحلال الموروث ما يساوي الملايين الكثيرة، في الوقت الذي كانت محتاجة فيه إلى دريهمات، وبذلك كتب الله لها الخلود . وها نحن نتحدث عن شرف معدنها ورفيع منزلتها بعد عصور وعصور، رحمها الله وأعلى مقامها في جنات النعيم) [1] .

---

(١) من مقدمة كتاب : «آداب الزفاف فى السنة المطهرة » للعلامة الألبانى رحمه الله ص

(٥)

زوجتي تغيرت أخلاقها ونفسيتها ومعاملتها لي بعدما تزوجت عليها بأخرى، رغم أنني أتقي الله في الزوجتين ، وأعدل بينهما بشهادتها .

إن الكثير من النساء اللائي تزوج عليهن أزواجهن بزوجة أخرى، يفتقرن إلى العدل والموضوعية في الحكم على قضية التعدد، ويتناسين تمامًا ضرورة التعايش في ظل الوضع الجديد بصورة أكثر سلمية، وفي إطار من الخوف من الله تعالى مخافة ظلم زوجها أو ظلم الزوجة الجديدة .

وليس من المنطقي أن نلقي بتبعات الخطأ على الزوجة الثانية لمجرد قبولها بالزواج من شخص متزوج، ونحملها مسؤولية أي مشاكل لا تأثم بسببها لمجرد قبولها هذا الوضع الجديد .

ومعظم النساء تنسى في هذا الموقف عقلها وتستنير بعاطفتها وتستعين بصديقاتها اللاتي يصدن في الماء العكر، حيث تأتي الواحدة منهن لتواسي هذه المرأة وتقدم لها التعازي والخطط العنيفة لمواجهة هذا الموقف وعدم الاستسلام، وتعطيها من القنابل المؤقتة والأسلحة التي تدفعها إلى مواصلة المقاومة .

وغالبًا هذا النوع من الصديقات التي تنفق هذا الجهد الكبير على التحريض وعلى إشعال نار لا تهدأ ليس رغبة في الدفاع عن صديقتها أو جارتها ولكن حماية لبيتها المهدد مستقبلاً بمثل هذا الزواج، وعمل حصن منيع يقاوم إغراء زوجها من الحياة الجديدة التي ربما تشده إليها فيقلدها . وهذه الصديقة التي تقف على الجبهة وعلى خط الدفاع الأول تسعى جاهدة إلى إفشال هذا الزواج بكل ما تملك .

أما الزوجة التي تستخدم عقلها في مثل هذا الموقف تعرف أن هذا الزواج

سوف يتم، أرادت أو لم ترد، لذلك فهي تقدم الدور الإيجابي على الدور السلبي لأن قبولها الواقع الجديد يرفع من أسهمها أمام زوجها وأمام مجتمعها، وما أصعب الرفض الذي لا يحصل صاحبه على ما يريد ثم يستسلم أخيرًا للواقع مكرهًا .

ويوجد من الزوجات من تساهم بمساعدة زوجها على الزواج الجديد، وفي الحياة مشاهد واضحة ولكنها على نطاق ضيق، حيث قامت بعض الزوجات بالخطبة لزوجها، والبعض الآخر قدمن الهدايا، أو قمن بترتيب بيت الزوجية ومساعدة الزوجة الجديدة على التكيف في محيطها الجديد، ومساعدتها على تنظيم بيتها .

تقول زوجة مجربة وخبيرة : إننا نخطئ كثيرًا عندما نستخدم أسلحة الرجال في الدفاع عن أنفسنا، أو يقودنا الانفعال أو نصائح المراهقات قليلات الخبرة . إن خط الدفاع الأول في مواجهة أي متاعب زوجية يرتكز على دور الزوجة في قبول الصورة الجديدة مع زوجها والتكيف معه ومضاعفة التعامل الجيد ليكون الفوز من نصيبها عند المواجهة، فبنت الرجال لها مواقفها المشرفة التي لا تستطيع بعض الزوجات الوصول إليها أو مجاراتها، وكل امرأة سترسم شخصيتها ومكانتها في مثل هذه المواقف .

لا شك بأن زواج الرجل بامرأة أخرى له تداعياته وتأثيراته على الزوجين والأولاد الذي قد يمتد طويلاً أو ينتهي قصيرًا بفضل وعي الزوجة وعلاقتها بالله أو يطول ويخلق متاعب أسرية كبيرة، والرجل الذي يقدم على مثل هذه المواقف لا بد أن يضع في حسبانه أسوأ الظروف حتى لا يفاجأ بموقف لم يعد له عدته . ويختلف إقدام كل رجل عن الآخر فمن الرجال من يتصور حال زوجته ويعيش مشاعرها . ومنهم من لا يحس إلا بنفسه، وقد قال صديق يصف إقدامه على الزواج من زوجة ثانية : أصبحت مثل من يخطط لانقلاب لا أعرف ماذا ستكون

نتائجه المقبلة، وما هي ردود الفعل المتوقعة، وأصبحت أقدم رجلا وأؤخر عشراً حتى دُفعت إليه دفعًا .

مع هذه القصة : التي توضح كيف تكسب الزوجة نفسها وحياتها وزوجها وجميع المحيطين، زار الصديق أبو سليمان جمهورية مصر العربية وزار بعض أصدقائه وزملائه في العمل هناك . ولفت نظره أن من بين عائلة أحد زملائه امرأة مبرقعة ولهجتها خليجية بدوية، وقد دهش عندما قامت بإحضار قهوة عربية وتمر ورحبت به حسب العادات في الجزيرة العربية . سأل أبو سليمان عن هذه المرأة قالوا له : إنها جارة لنا سبق لها الزواج من رجل خليجي، وعندما توفي حضرت إلى بلدها هنا وتزوجت آخر من بلدها، ثم طلب أبو سليمان منها الاقتراب وأخذ يلقي معها مقابلة حول حياتها ويوجه إليها كثيراً من الأسئلة التي دارت في ذهنه وقد أجابت عليها كلها حيث أخبرته بأن زوجها الأول قد تزوجها على اثنتين وعاشت معه قبل وفاته خمس عشرة سنة ولها منه ثلاثة أولاد وأنها استطاعت أن تملك زوجها بفضل حسن تعاملها معه وكسب رضاه وأنها كانت تقف معه في كل مواقفه وضربت مثالاً على ذلك حيث قالت : لقد خطبت له زوجتين بعدي، وجهزتهن له بناء على رغبته وكنت له بمثابة الأم والأخت والصديقة، وكان يشاورني في كل أموره الشخصية والأسرية، ويطلعني على أسراره، وأردفت أن سر تعاملي مع زوجي يرجع إلى أن زوجي سوف ينفذ ما برأسه ولن يستأذن مني، فقلت في نفسي يا بنت اكسبي محبة زوجك ومحبة جميع المحيطين به ولن تخسري سوى الشقاء والتعاسة والمعارك الخاسرة، لأن زوجي عندما يقدم على زواج جديد مثلاً سوف ينفذ كل ما يحلو له ولن يتراجع عند رفضي أو عند اعتراض أحد من أهله فلماذا أفقده وأفقد اهتمامه واحترامه، ثم هو بالتالي سوف يقدر وقوفي إلى جانبه في هذا الموقف الصعب، ثم أردفت وقالت بالحرف الواحد وباللهجة الصحراوية المحلية : لقد ذبيت عواطفي،

واستعملت عقلي وفزت بحياة سعيدة كسبت فيها نفسي وزوجي وجميع المحيطين بي .

ومع قصة أخرى: يقول أبو عبد العزيز : إن زوجة ابن عمي أم إبراهيم قالت لزوجتي ولإحدى الحاضرات ممن لها جارة لو كنت مكان واحدة منكن لجعلت زوجي يطلق زوجتها الجديدة، وقد كان لكلامها وخز كبير في نفوسنا والحديث لزوجتي، لعجزنا عن تنفيذ ما تريد، وقد تمنينا أن يتزوج زوجها لنرى ماذا سوف تعمل فربما سلكنا طريقها، وبالفعل لم تمر سوى سنة واحدة حتى تزوج عليها زوجها، وقد تباشرنا لاعتقادنا أنها مسرورة بعجزنا وسعيدة بحياتها بمفردها وصرنا ننتظر ماذا سوف تعمل أم إبراهيم . مرت أيام وأيام ولم نسمع أنها ذهبت إلى أهلها وتركت البيت لزوجها . . لم نسمع عن خلافها مع زوجها وطلاقها منه، ولم نسمع لها مشاكل في ظل ظروفها الجديدة، لقد مر عام كامل على زواج زوجها وبعده قام وطلق زوجته الثانية هناء مما أدهشنا كيف سحرت زوجها واستجاب لضغوطها، وكيف، وكيف، أسئلة كثيرة جالت في رؤوسنا . ثم ذهبت أم يوسف إلى أم إبراهيم تستطلع الأخبار لعلنا عبر زيارة خاطفة بدأتها بالتهنئة ألف مبروك يا أم إبراهيم : لقد طلق زوجك زوجته هناء ما شاء الله . كيف خليتيه يطلقها ؟ ردت أم إبراهيم بفتور، وقالت : ما أحب الخير لجارتي، لو شاورني زوجي لما وافقته على رغبته، وأسأل الله ألا يجعل يومنا مثل يومها، لو كنت أنت جارتي المطلقة ما هو شعورك ؟ . ترددت أم يوسف في الإجابة ثم قالت : ما علينا جاوبيني كيف خليتي زوجك يطلقها ؟ قالت : كان تعاملي مع زوجي ممتازاً وقد عاملته بإخلاص وأخلاق وكنت أوصيه على جارتي هناء . . بينما كانت تضايقه وتناقشه كثيراً حول مشاويره وتجادله وتعكر عليه، ولعله قارن حياته الأولى بحياته الثانية، وهذا ما دفعه إلي طلاقها، وإذا طلق زوجي القمر الآن فربما تزوج غداً الشمس، ثم علينا عدم التشمت وتناول هذه

الأحاديث التي لا تفيد . لماذا لا نفكر كيف نجذب أزواجنا إلى بيوتهم ونوفر لهم كل ما يحلمون به من الراحة والسعادة . ودعتها أم يوسف وخرجت مسرعة، وهي تردد وفري له يا أختي يستأهل طلق زوجته (هناء) من أجلك)[١] .

وتحت عنوان « **سوء تصرف المرأة إذا عدد زوجها** » **يقول الأستاذ محمدبن إبراهيم الحمد :**

فمن النساء من إذا تزوج عليها زوجها بالغت في الغيرة، وتصرفت بجهل، وحمق، ونزق، وسفه .

فقد تعترض على حكمة التعدد، وقد تدعو بالويل والثبور،وقد تخمش وجهها، وتشق جيبها، وقد تهجر منزل زوجها، وتذهب إلى بيت أهلها .

ومنهن من تشرع بذم زوجها، وتعداد معايبه، بل واختلاق ما هو براء منه .

ومنهن من تغري أولادها بأبيهم، فتوصيهم بعقوقه، وإغلاظ الجانب له .

بل ومنهن – عياذاً بالله – من يبلغ بها الجهل والسفه مبلغه، فتبيع دينها بالذهاب إلى السحرة والمشعوذين ؛ رغبة في عطف قلب الزوج إليها، وصرفه عن زوجته الجديدة .

إلى غير ذلك من التصرفات التي تنم عن جهل، وسفه ورقة دين .

فما النتيجة من هذه التصرفات الرعناء ؟ إنها لن تجدي نفعًا، ولن تطفئ لوعة، بل قد تكون سببًا في خسران الدنيا والآخرة .

فيا أيتها الزوجة الكريمة، أحسني معاملة زوجك فاعملي بما تقتضيه الحكمة والدين، وما يدعو إليه داعي العقل والمروءة .

نعم لا يراد منك ما ليس في وسعك ؛ فيقال لك افرحي، أو لا تغاري البتة ؛ فذلك ليس بمقدورك .

---

(١) الشهد والشوك فى الحياة الزوجية – صالح بن عبد الله العيثم – ص(٢١٢ - ٢١٥) .

ولكن – كما تقول العرب في أمثالها – : « إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون » [١] . ومما توصى به الزوجة – إذا عدد زوجها، ومما يعينها على تحمل المصيبة ما يلي :

أ ـ **الصبر عند الصدمة الأولى** : وذلك بالاسترجاع، وقول : لا حول ولا قوة إلا بالله . فإذا صبرت في بداية الأمر هانت عليها المصيبة وأعانها الله على السلوان .

ب ـ **توطين النفس على الوضع الجديد ، والحذر من تضخيم الأمور .**

جـ ـ **التسليم لله** : فتسلم الزوجة لله ، وترضى بقضائه وقدره ؛ فهذا الذي يجدي في العاجل والآجل .

د ـ **الحذر من الاعتراض على حكمة التعدد** : لأن الاعتراض على حكمة التعدد إنما هو اعتراض على حكم الله وتشريعه ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

هـ ـ **التماس الخيرة** : فما من محنة إلا وتحمل في طيها منحة ؛ فمن الخير للزوجة أن تلتمس الخيرة إذا عدد زوجها ؛ حتى تعزي نفسها، وتنظر فيما هو أنفع لها، فتقول – على سبيل المثال – : إن الزوجة الجديدة ستتحمل عني بعض المسؤولية، مما يزيد في راحتي وفراغي، فأزداد إقبالاً على ربي، وتفرغًا لتربية أولادي .

وتلتمس الخيرة – أيضًا – باحتساب الأجر، وتذكر ما أعده الله للصابرين .

وتلتمس الخيرة بأن بقائها مع زوجها إذا عدد خير لها من طلاقها .

وتلتمس الخيرة بأن تشفق على بنات جنسها ؛ فلو اقتصر كل رجل على امرأة واحدة لعم الفساد، ولعاشت بقية النساء بنكد وشقاء .

و ـ **الحذر من إيذاء الزوجة الجديدة** : سواء بالقول أو بالفعل، أو بالكيد لها،

---

(١) الأمثال لأبي عبيد ص (٢٣٧) .

أو إغراء الزوج بها ؛ فما هي إلا مبتلاة، وقد تكون مطلقة، وها هي الآن تعيش مع ذي زوجة .

ثم ما ذنبها حتى تُؤذى ؟ وما الثمرة من إيذائها إلا غضب الرب، واحتمال البهتان، والتعرض للعقوبة ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٥٨] .

ولهذا فإن الزوجة العاقلة لا تفكر في أذية ضرتها، بل قد تسمو بها الحال فتحسن إليها، وتحب لها ما تحبه لنفسها، بل وتقابل إساءتها بالإحسان .

وكم يُرى من الضرات العاقلات من هن كالأخوات في التوادد والتراحم، والتعاون على البر والتقوى .

وما ذلك إلا لقوة إيمانهن، وكمال عقولهن، وكبر نفوسهن .

ز ـ تذكر **نعم الله** : فذلك يقود إلى شكره، وبالشكر تدوم النعم ؛ فتذكري أيتها الزوجة ما أنت فيه من نعمة الإسلام، ونعمة الصحة، ونعمة الزوج ؛ فغيرك ليس عندها زوج، وقد تكون مريضة لا تفكر في زوج ولا ولد، بل قصارها ومنتهى أملها نيل الصحة والعافية .

وتذكري مصائب الآخرين، وما ينزل بهم من بلايا ورزايا، وتذكري أنك لست الأولى التي عدد زوجها ولا الأخيرة، واستحضري بأن الزواج ليس استئثاراً بالزوج فحسب، ولا مجرد قضاء الوطر ؛ فهناك نعمة الأولاد، ونعمة الستر، ونعمة الرضا بقسم الله .

وتذكري بأن التعدد ليس نهاية المطاف، ولا يعني أن الزوج قد مال عنك، وزهد بك، أو أن زواجه بالثانية دليل على نقص بك ؛ بل قد يكون الحامل له على ذلك أسباب أخرى .

وتذكري بأن غيرك قد تكون وحيدة زوجها، ومع ذلك تعيش تعيسة شقية .

وتذكري بأن السعادة ليست مقصورة على الزوجة التي انفردت بزوجها، وأن التعاسة ليست من نصيب من عدَّد زوجها، وإنما السعادة تنبع من داخل النفس، وأعظم مادة لها رضا العبد بقسمة الله له .

ح - **اطراح المبالاة بكلام الناس** : فذلك هو باب العقل والراحة كلها كما قال ابن حزم - رحمه الله - [١] .

فمن أثقل الأمور على الزوجة إذا عدد زوجها كلام الناس عن ذلك التعدد، وسؤالهم عن أسبابه، فذلك يشق على الزوجة .

ومما يعينها على قلة الاهتمام بكلام الناس أن تستحضر أنه لا يضرها أبدًا إلا إذا اشتغلت به، فإذا أعرضت عنه، وجعلته دبر أذنها لم يؤثر فيها أبدًا .

ومن ذلك أن تعلم علم اليقين أن الناس لا يشغلهم أمرها كثيرًا ؛ فهم مشغولون في أنفسهم في غالب أمرهم ؛ فأدنى شيء يحدث لهم ينسيهم أمرها .

ط ـ **طرد الهم ومحاربة الكآبة** : فلا يحسن بالمرأة إذا عدد زوجها أن تغرق في همومها، وأن تسترسل مع أحزانها ؛ بل يحسن بها أن تحارب الكآبة، وأن تدرأ الهم عن النفس ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، بحيث تتجلد، ولا يرى الناس منها الجميل ؛ فذلك أعلى لقدرها، وأسلم لها من شماتة الناس بها .

ومن أحكم ما قالته العرب :

ولربما ابتسم الكريم من الأذى وفؤاده من حرّه يتأوه

ي - **استحضار أن الراحة التامة الكاملة ليست في الدنيا** : فالدنيا دار نَصَب، وكبد وعناء . والراحة التامة والسعادة الكاملة إنما تكون في الآخرة لمن آمن وعمل صالحًا .

فإذا هي استحضرت هذه المعاني، وأخذت بتلك الأسباب كان حريًا أن

---

(١) انظر الأخلاق والسير لابن حزم ص ١٧ .

تسلو، وترضى) [١] .

فيا كل زوجة تزوج عليها زوجها ...

اتق الله تعالى في زوجك فإنه لم يرتكب إثمًا ولم يقترف حرامًا .

اتق الله تعالى في زوجك – ولا تظنين أن تعاطف الناس ـ الكاذب ـ معك معناه أنك محقة، وأنك المظلومة، وأنك المهانة، ونحو ذلك من الشعارات الزائفة .

اتق الله في زوجك – ولا تعلقي تصرفاتك السيئة على « شماعة » النفسية المتعبة والتي تغيرت، لا سيما إذا كان زوجك عادلاً .

اتق الله تعالى في زوجك – وعامليه بالحسنى، واجعلي لك عنده رصيداً من حسن الخلق والمعاملة والحب، فلعل هذا الرصيد ينفعك في الدنيا بالسعادة والاستقرار، وينفعك في الآخرة برضا الله عنك .

اتق الله في زوجك، وتجنبي الإساءة إليه، فربما فكر في الإبقاء عليك وحدك دون الأخرى، ولكن غيَّر رأيه لأنه لم ينسَ بعْدُ ما فعلتيه أنت وأهلك معه، وبالتالي لا يجد لك في قلبه رصيداً يعينه على العودة إليك أو عدم فراقك .

وعجبت من قول إحدى الزوجات تقول لصديقتها وأقربائها عن زوجها بعدما عدَّد : إذا أنجب فلا تخبروني بذلك، حتى أظل أعيش على أمل أنه سيعود إليَّ مرة أخرى !! .

سبحان الله ! وهل فارقك ليعود إليك ؟! ومن أين يعود ؟! هل ذهب إلى الجحيم وأنت في انتظار عودته ؟! هل ذهب إلى الشيطان وأنت في انتظار أوبته؟! .

---

(١) من أخطاء الزوجات ص(٤٧ – ٥١) .

يا أيتـهـا الزوجـة المؤمنة: هل كل من تزوج على زوجته قد تزوج لمقصد سيء في نفسـه ؟ أليس هناك من يتـزوج لله ؟ يكفل أرملة، أو يمـسح دمـعـة مطلقة، أو يفرح عانس،وغير ذلك من الأسباب التي تعظم النية بسببها .

يا أيتها المسلمات ! :

إن الله تعالى لم يشرع التعدد إلا لما فيه من الصلاح والنفع للخلق، فالله سبحانه وتعالى حكيم خبير بعباده رؤوف رحيم، وكذلك الرسول ﷺ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فقوله حق وفعله حق، وهو لا يعمل عملاً إلا بأمر من الله تعالى .

ولتتصور كل واحدة نفسها في هذا الموقف، لو فاتها قطار الزوجية لأي سبب من الأسباب، أو لتتصور حال تلك الأرملة أو المطلقة التي كان من قدر الله تعالى عليها أن تصبح كذلك – وكل مسلمة معرضة لذلك – فمن سيقدم على الزواج منهن ؟ هل سيقدم عليهن شاب في مقتبل عمره ؟

وماذا لو أن الله لم يشرع التعدد، فما هو مصير أولئك النسوة اللاتي ينتظرن الرجل الذي ينقذهن من براثن الهم والحزن والغم ونظرة المجتمع السيئة لهن ؟

فلهذا يتبين أن التعدد هو لصالح المرأة أولاً قبل أن يكون لصالح الرجل، وأنه ليس ظلمًا للمرأة كما يظنه البعض .

إن الذي شرع التعدد هو الله سبحانه وتعالى الذي حرَّم الظلم على نفسه، فهل يعقل أن يحرم الله الظلم ثم يشرع التعدد وفيه ظلم للمرأة ؟ لا يمكن ذلك أبداً ولا يعقل !!، ولأن الله هو الذي خلق المرأة وهو أعلم بحالها، يعلم أن التعدد لا يضرها .﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾[الملك : ١٤]، ﴿ **قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ** ﴾ [البقرة : ١٤٠] وإن كان هناك ضرر فهو نسبي بالنسبة لفوائده الأخرى .

نحن لا نطلب من المرأة أن لا تغار على زوجها وترضى أن زوجة أخرى تشاركها فيه، فذا أمر طبيعي وفطري لا يمكن سلامة النفوس منه، لكن ما نريده من الزوجة الأولى هو أن لا تدفعها هذه الغيرة الغريزية إلى أن تقف أمام رغبة الزوج في الزواج من أخرى، أو المكر والكيد بشتى الوسائل لتحقيق إخفاق هذا الزواج والضغط على الزوج ليطلق الأخرى، أو التصرف بطريقة تجبر الزوجة الأخرى على الإحساس بأنها متطفلة، وأنها قد سرقت زوجًا من زوجته وأبًا من أطفاله وبيته مما يدفعها إلى الانسحاب وطلب الطلاق، أو الشعور بالخزي بسبب موافقتها على الزواج من متزوج .

كذلك ينبغي أن تعرف كل واحدة حدود ما أباح الله،وأن تحذر تعدي هذه الحدود معتذرة بما فطرها عليه من خصال الأنوثة، ولتكن الغيرة الفطرية أيتها الأخت « الزوجة الأولى » دافعًا لك لإرضاء الله أولاً ثم إرضاء الزوج ثانيًا بموافقته والابتعاد عما يثير غضبه وحزنه كي تستأثري بمودته وحبه ورحمته، فأنت بزواجك منه لم تمتلكيه إلى الأبد، أما اتخاذ المواقف المناقضة لذلك والمنافية للشرع وادعاء المحبة للزوج فلا تعود عليك إلا بخلافات زوجية لا تنتهي وحياة أسرية قلقة لا تستقر، وخنق للزوج وإثارة لحفيظته وإيغار لصدره، وكل ذلك ينحت من الحب المستقر في القلب ويضفي على المودة والرحمة ظلالاً قاتمة ويحيل السكن إلى بيت للعنكبوت، ولك في أمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ والصحابيات الجليلات أكبر قدوة في ذلك . فقد عدَّد النبي ﷺ وكذلك الخلفاء الراشدون وعدَّد كثير من الصحابة ولم يعلم عن أحد من تلك النساء غضب أو اعتراض على التعدد أو كره له، أو هروب من المنزل، أو طلب للطلاق بسببه كما هو الحال عند بعض نساء هذا الزمن ممن قل علمهن وضعف إيمانهن .

وهذه رسالة مسلمة مخبتة لله تعالى تعتذر فيها لزوجها عمَّا بدر منها ومن أهلها لَمَّا عدَّد، تقول فيها :

زوجي الحبيب ...

■ لا أستطيع أن أنكر أنني قد ظلمتك وأهلي بعدما عدَّدت . لقد اغتبناك ولمزناك .. وطعنا فيك .. وأسأنا بك الظن .. واتهمناك في نيتك ومقصدك .. وطعنا فيك واتهمناك بتهم ظهر لنا بعدها أننا ظلمناك، فهل نجد بين يديك العفو والصفح وأنت أهل لذلك .. نحسبك كذلك ولا نزكيك على الله تعالى .

■ أعلم تمامًا أنك ما عدَّدت لنزوة كما اتهمك البعض، أو لقلة وفاء كما قال البعض، وإنما عدَّدت لله، وأنا أعلم ذلك جيدًا، ولكنه الشيطان الذي أغرى بي وبأهلي، وصديقات السوء اللائي زعمن الوقوف بجانبي شفقة عليَّ وتعاطفًا معي، فهل نجد بين يديك المسامحة والتجاوز وأنت أهل لذلك، نحسبك كذلك ولا نزكيك على الله تعالى .

■ لقد وقفت وحدك مستعينًا بالله تعالى ضد كل من طعنوا فيك واغتابوك حتى ممن يتزيَّ بزي « الالتزام » وقابلت كل ذلك بحسن خلقك المعهود فيك، ولم تقابل الإساءة بمثلها، وإنما صبرت وتحملت، ولم تجدني وقتئذ بجوارك أشدُّ من أزرك وأدفع عنك شياطين الإنس والجن كما تعودت من قبل، فهل تغفر لي وتعفو عني ؟ .

■ أرجو أن تلتمس لي بعض العذر، فالتعدد في مجتمعنا مصيبة من المصائب وهذا من غربة الدين بين أهله، فنحن نرضع بغض هذه الشعيرة منذ سنين طويلة، فضلاً عن دور وسائل الإعلام في بث الكراهية في قلوبنا لكل من يعدد، ولكل من تقبل أن تكون زوجة ثانية .

إن من الإنصاف والعدل والمساواة وتحكيم العقل أن تفكر المرأة في أختها

المسلمة العانس أو الأرملة أو المطلقة، وفي مصيرها وواقعها المؤلم الذي تعيشه، وما فعلتْ ذنبًا تستحق بموجبه هذه العقوبة القاسية وهي « حرمانها من الزوج والعائل والولد » سوى أنها كانت ضحية أنانية وجهل أختها المتزوجة، هذا فضلاً عن المخاطر والمفاسد التي قد تنشأ من بقائها بلا زوج ولا عائل يعولها، إذ قد تضطرها الظروف وتلجئها الحاجة إلى ارتكاب الفاحشة فتهدر بذلك كرامتها وتضيع إنسانيتها وتبيع بُضعها بأرخص الأثمان على مذبح الفاقة والحاجة ! .

فاعذرني فأنا لم أفهم ذلك إلا متأخرًا، فقد كانت الغشاوة الشيطانية تغطي عيني وقلبي فلم أهتد إلى الحق إلا أخيرًا، فهل تسامحني وتصفح عني ؟

■ أعترف أنني في بداية زواجك الجديد كنت سببًا في تدمير نفسية أولادي، وقتها لم أكن أفكر إلا في نفسي، ولم يكن عندي وقتها استعداد للتضحية والتحمل والبذل لله تعالى، مما أثَّر على الأولاد وجعلهم يأخذون موقفًا سلبيًا منك في بعض الأحيان .

والآن أحمد الله تعالى أنني أحاول إعادة البناء من جديد، لعلي أكفر عن أخطائي .

ولعل مما يريحني الآن نفسيًا أن وجدت ثمار ذلك في إعادة الثقة للأولاد في أبيهم، وحسن الظن به، واحترامه وتقديره كما كان الحال من قبل .

أرجو أن تغفر لي بعض سوء الأدب معك في الحديث، فكم كنت قاسية معك أحيانًا في بعض ردود الأفعال أو الأقوال، وذلك لم يكن من طبعي ولا أخلاقي، ولكنه الشيطان أخزاه الله تعالى .

■ كم رددت عليك بسوء أدب، وكم جادلتك واعترضت عليك بأسلوب سيء، وكم لم أبالي برضاك عني، وكم كان صوتي مرتفعًا أحيانًا، ولكنني والحمد لله تبت إلى الله تعالى، فهل أطمع في صفحك وعفوك وأنت أهل لذلك،

ولا أزكيك على الله تعالى .

■ كنت قبل التعدد ألتمس رضاك عني دائمًا، وأسألك بين الحين والآخر : « هل أنت راضٍ عني ؟ » وبعد التعدد نسيت أو تناسيت هذا السؤال، وزين ليَّ الشيطان في أحايين كثيرة أنني على الحق وأنك أنت المخطئ، وأنت السبب فيما وصلت أنا إليه من تقصير وعيوب، بل ربما كانت تمر الأيام وأرى على وجهك كآبة حزن وهم، مني ولكن كنت أستكبر أن أسألك : ما بك؟ أو ما يحزنك؟ وأدعك وأعرض عنك والسبب كله شياطين الإنس والجن، والنفس الأمارة بالسوء.

فهل أطمع أن تنسى لي كل هذه السلبيات، حتى يعطيني هذا الصفح منك العزيمة على الرشد، والعودة مرة أخرى إلى سالف عهدي من القنوت لزوجي والخضوع له .

■ سامحني فقد نقلت مشاكل بيتنا وأسراره إلى خارج البيت، وليس ذلك من طبعي، ولكنه التحريش من الشيطان ليفسد العلاقة بيني وبينك، ولا شك أنه – أخزاه الله – نجح في ذلك إلى حدٍ ما، ولكن أتوب إلى الله، فاعفو عني واصفح، فالموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل .

■ أن يقوم أولادك من الزوجة الجديدة بزيارة أولادي، وقيام أولادي بزيارة إخوتهم منها، أمرٌ كان بالنسبة لي مستحيلاً، ولكن بعد أن هدأت العاصفة وخمد البركان ودخلت الذئاب جحورها، وسُلسلت شياطين الإنس والجن من حولي، فإنني أقول لك الآن لا مانع لديَّ أن ينصهر الإخوة والأخوات كلهم في بوتقة واحدة بوتقة الأخوة والحب في الله .

ولماذا أكون أنا سبب في بغض بعضهم بعضًا ؟! .

وماذا أقول لربي يوم القيامة بسبب هذه الأفكار المغلوطة والتي سيدفع ثمنها

في المستقبل إخوة وأخوات لا ذنب لهم ولا جريرة ؟

فالحمد الله الذي هداني لهذا وما كنت لأهتدي لولا أن هداني الله .

■ غاليت كثيراً في موضوع « الغيرة » واعتقدت أن ما يصيب المرأة من مرارة الغيرة سبب قوي لأ لا يقدم الرجل على « التعدد » ثم تبين لي بعد ذلك أن الغيرة موجودة ولا شك، ولكن لا داعي لأن تطفو على السطح بهذه الصورة المقيتة التي زينها لي الشيطان لدرجة أنني اعتقدت أن كل المشاكل تكون بسبب ما فى نفس المرأة من الغيرة . ثم راجعت نفسي فوجدت أن أكثر المشاكل في المحاكم الآن هي بين الأسر العادية التي تزوج فيها الرجل بزوجة واحدة فقط، وبالتالي فالغيرة ليست الطريق اللازم لأي مشكلة بعد التعدد . وأنا إذ راجعت نفسي وانتبهت فهل تسامحني وتصفح عني وأنت أهل لذلك، ولا أزكيك على الله تعالى .

■ كنت أتغنى بين الحين والآخر أنني من « الصابرات » اللاتي تحملن ما لم تتحمله غيري من النساء ثم أقبلت على نفسي بعدما استعذت بالله تعالى من الشيطان، وهدى الله قلبي إلى الحق، وقلت لها : وهل معنى أنني من الصابرات أن ألوك هذه الكلمة بلساني في كل وقت أم أحتسب الأجر عند الله تعالى .

فأين عفوك وصفحك، والأنفس بيد الله لا تدري متى تلقى الله تعالى ؟ لذا فأنا أكتب لك هذه الرسالة بكل الحب والإخلاص والصدق، رسالة زوجة محبة تائبة منيبة إلى الحق لأقوم بالإعذار إلى الله تعالى، فلن ينفعني أحدٌ يوم القيامة إلا عملي الصالح، وهل من عمل صالح أجلُّ من رضاك عني . فبالله عليك هل رضيت ؟ أحسبك قد رضيت فأنت صاحب القلب السليم الودود، ولا أزكيك على الله .

(٦)

زوجتي سيئة الخلق في بعض السلوكيات والتصرفات ، فأحيانًا تخبر الآخرين بمشكلاتنا ، وأحيانًا تنشز علي ، وأحيانًا أخرى تبالغ في غيرتها علي ، وأحيانًا أخرى تتبرم من قوامتي داخل البيت .

لو أن كل زوجة استحضرت فضل حسن الخلق بنية خالصة ترجو بها الله والدار الآخرة ، لتغيرت سلوكياتها وتصرفاتها إلى الأفضل دائمًا . ومن النصوص التي تحث على حسن الخلق :

■ قوله ﷺ : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » (١) .

■ وعن أبي الدرداء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من شيء يوضع في الميزان أثقلُ من حسن الخلق ، وإن صاحب حسن الخلق ليبلُغ به درجة صاحب الصوم والصلاة » (٢) .

■ وأمر الله تعالى بحسن الخلق مع الناس كافة ولم يستثن ، فقال عز من قائل : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة : ٨٣] .

■ **وقال القرطبي رحمه الله** : قال أبو العالية : قولوا لهم الطيب من القول ، وجازوهم بأحسن ما تحبون أن تجازوا به (٣) .

وقال ﷺ أيضًا : « إن أحبكم إليَّ أحاسنكم أخلاقًا » (٤) .

• أهم مظاهر سوء خلق الزوجة مع زوجها :

(١) رفع الصوت عليه والنظر إليه بحدة أو باشمئزاز أو بسخرية :

وهذا كله مذموم بل من أذية الزوجة لزوجها ، فكيف بها وزوجته من الحور

(١) رواه البخاري في « الأدب المفرد » والحاكم وغيرهما ، وصححه الألباني في « صحيح الأدب المفرد » (٢٠٧) .
(٢) أخرجه الترمذي ، وصححه الألباني في « صحيح الترمذي » برقم (١٦٢٩) .
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٦١٢) .
(٤) أخرجه الطبراني وحسنه الألباني في « الصحيحة » برقم (٧٥١) .

العين عندما ترى ذلك منها تقول لها : « **قاتلك الله ! لا تؤذيه ، فإنما هو دخيل عندك يوشك أن يفارقك إلينا** » ثم ماذا يبقى من احترامك لزوجك وأنت تتعاملين معه بمثل هذه المعاملة السيئة ؟! .

(٢) إخبار الآخرين بمشكلات المنزل :

فليس كل خلاف أو مشكلة بين الزوجين يكون سببًا لمسارعة الزوجة بإخبار والديها، أو إخوانها أو أخواتها، أو صديقاتها، وهذا إن دل فإنما يدل على قلة صبرها، وجهلها وحنقها لا سيما إذا كان الخلاف أو كانت المشكلة لا تستحق الذكر، وإنما تُطوى ولا تُروى .

وربما كان هذا التصرف السيء سببًا لتقويض صرح الزوجية، وبغض الرجل لزوجته .

لذا كان واجبًا على كل زوجة الحرص على عدم إخراج مشاكل البيت خارجه، إلاّ إذا بلغت المشاكل والخلافات مبلغًا ربما يستحيل معها الاستمرار في الحياة الزوجية، فحينئذ يسأل أهل العلم والصلاح ممن يأمن عندهم المرء على أسراره، ويجد عندهم من العلم والتقوى ما تُحل به المشاكل .

(٣) النشوز والتمرد علي الزوج :

لو أن كل امرأة تفهم عن رسول الله ﷺ قوله ما نشزت على زوجها ولا تمردت، وهو الحارس لها ولأولادها، العامل بكد وتعب من أجل لقمة العيش يتحمل كل شيء من أجل راحتهم، ومع ذلك تتمرد فهي إذن امرأة سوء، أما سمعت قول رسول الله ﷺ : « **لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا** » [١]. لا شك أن النشوز والتمرد على الزوج أبلغ صور الإيذاء له .

---

(١) رواه أحمد والترمذى وغيرهما ، وصححه الألبانى رحمه الله فى الصحيحة(١٧٣) .

(٤) المبالغة في الغيرة علي الزوج :

بعض البيوت تقوضت دعائمها بسبب الغيرة المذمومة المفرطة، التي تشعل جيوش الظنون والشكوك وتحيل حياة الأسرة جحيمًا لا يطاق .

(ولهذا يجب على الزوجة التي تروم السعادة لنفسها ولزوجها أن تعتدل في غيرتها، ومما يعينها على ذلك ما يلي :

أ - **أن ترضي بقضاء الله وقدره** : فما أصابها لم يكن ليخطئها، وما أخطأها لم يكن ليصيبها، وما كتب عليها لابد أن يأتيها .

ب - **ترك الاسترسال مع الأوهام** : التي تنسجها الأذهان الحائرة المبلبلة .

جـ - **الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم** : قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف : ٢٠٠] .

د - **تحكيم العقل** : وترك الانسياق وراء العاطفة .

هـ - **المجاهدة** : فتجاهد نفسها على التخلص من هذه الأوهام ؛ ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

و - **الدعاء** : فتسأل ربها أن يعينها على نفسها، وأن يجنبها كل ما يزري بها .

ز - **النظر في العواقب** : فما عاقبة سوء الظن، والمبالغة في الغيرة إلا خراب البيت، وزوال النعمة ؛ فهل ترضى العاقلة بهذا المنقلب ؟

ح - **الاشتغال بما ينفع** : من نحو الإقبال على الله،والقيام بشأن المنزل ؛ لأن الفراغ يولد كثيرًا من المشكلات .

ط - **تغليب جانب التفاؤل** : فالمتفائل واسع النظرة، فسيح الصدر، عالي الهمة، موفور النشاط .

بخلاف المتشائم ؛ فهو فاتر الهمة، ثقيل الظل، متبلد كسول، لا تحدوه غاية حميدة،ولا يدفعه هدفٌ سامٍ .

بل تراه يعيش في عالم الأحلام، والأوهام والخيال، ويشعر دائمًا بالخيبة والخذلان، ويسيء ظنه بالآخرين، ولا ينظر إليهم إلا بعين الريبة ؛ فهو منغلق النفس، ضيق الصدر .

ألا إنما بشر الحياة تفاؤل تفاءل تعش في زمرة السعداء

ي - ترك التوقع للشر : فمن الحكمة أن لا يجمع الإنسان على نفسه بين الألم بتوقع الشر والألم بحصول الشر ؛ فليسعد ما دامت أسباب الحزن بعيدة، فإذا حدثت فليقابلها بشجاعة واعتدال .

قال أبو علي الشبل :

ودع التوقع للحوادث إنها للحي من قبل الممات ممات (١)

(٥) التبرم من قوامة الرجل :

إن المرأة التي تريد أن تساوي زوجها في كل تصرفاته، أو أن يسلم قياده لها، وتكون إرادته تابعة لإرادتها، فتكون هي الحاكمة فى البيت، والآمرة الناهية، فقد خالفت في ذلك ما يأمر به الشرع، وما تدعو إليه الفطرة السليمة، بل والتجارب الإنسانية .

والمرأة العاقلة هي التي تعرف قدرها وإمكاناتها، وتعلم أن القوامة حق للرجل وتشريف للمرأة، ولا يجوز لها بحال أن ترفض قوامة الرجل عليها، ولا أن تتضجر منها طالما أنه لم يسيئ استعمال هذه القوامة ولم يخرج عن حدودها .

(٦) هجران الفراش :

من النساء من تتأبّى على زوجها وتستكبر إذا دعاها إلى الفراش، إما بحجج

---

(١) من أخطاء الزوجات - محمد بن إبراهيم الحمد - ص (٤٦، ٤٧) .

واهية، أو بقصد إيلامه أو إذلاله وإغضابه حتى ينصاع لما تريد .

وما تدري المرأة التي تفعل ذلك أنها ترتكب كبيرة من الكبائر بحرمان زوجها من أعظم حقوقه، وعرَّضت نفسها للوعيد الشديد، وذلك لأن المرأة بامتناعها عن زوجها لغير عذر شرعي لا تعفه ولا تقيه مهالك الشهوة ومعاطبها بل تلقي به في أتون الفتن والشهوات فيقع فيها .

فمن هي هذه المرأة التي تسمع كلام النبي ﷺ ثم تعرض عنه ولا تخاف عقاب الله ؟!! .

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إذا دعا الرجل امرأته إلي فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتي تصبح** »[1].

وفي رواية لمسلم : « **والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلي فراشها فتأبي عليه ، إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتي يرضي عنها** ».

وهجران فراش الزوجية فيه طعن لكبرياء الرجل، مما يترتب على ذلك مشاكل أخرى تتفاقم داخل البيت بسبب هذا الامتناع، ويدفع الثمن في النهاية الأولاد، الذين لم يعرفوا سبب المشاكل داخل البيت، حيث لم يروا شجار أو خلافات، وإنما رأوا مرة واحدة كآبة وحزن ونكد داخل البيت. أفلا تخاف المرأة ربها وتتقيه؟!! .

(٧) سوء استقبال الزوج عند عودته من العمل :

من أخطاء الزوجة البليغة، حفيدتي الغالية، سوء استقبالها لزوجها، حين عودته إلى بيته، من عمله، أو من غير عمله .

ما إن يدخل الزوج إلى البيت، حتى تستقبله زوجته ؛ تستقبله بالشكوى

(١) قال ابن علان (دليل الفالحين ٢ / ١٠٩) : فيه دليل علي قبول دعاء الملائكة لكونه ﷺ يُخوف به ، وفيه إشارة إلى مساعدة الزوج ومرضاته .

من الأطفال، والشكوى من البيت والشكوى من العمل، والشكوى من الحياة كلها . .

ويكون زوجها عائداً متعباً، يمنّي النفس بالراحة،في بيته، بعد عناء الكد والعمل، فلا يجد الراحة التي يحلم بها، ولا البسمة على شفتي زوجته ! .

فيرد الزوج على شكوى زوجته بشكوى أخرى، شكوى من العمل، والتعب، والحياة .

يحدث الشجار ويحتد الزوجان في تبادل التهم، كلٌّ يتهم الآخر بالتقصير، والإهمال .

ولو أن الزوجة أمسكت أعصابها، وتمالكت نفسها، وكتمت غضبها، وابتسمت في وجه زوجها حين قدومه إلى بيته، ونزعت عنه سترته، وخفَّفت عنه تعبه بكلمات حلوة، لطيفة . . مثل « الله يعطيك العافية » « على القوة » وأمثالها، لكان لها وقعها الطيب في نفس زوجها، ولبادلها بكلمات حلوة مثلها تنسيها تعبها، وتخفف عنها معاناتها، وتبعث فيها مشاعر الرضا والسرور .

فاحرصي حفيدتي، إذا كنت متزوجة على حسن استقبالك لزوجك، حين عودته إلى بيته، ولا تحدثيه عما يبعث في نفسه الضيق، ولا تذكريه بهمومه، ولا تضخمي في عينه المشكلات .

كثير من الزوجات يشكين من غياب أزواجهن الطويل عن البيت، وينسن أنهن السبب ! أجل، البيت الذي يفترض أن يكون واحة للزوج يلجأ إليها ليستريح من عمله وكدّه ويجد فيه سكينة واستقرار، هذا البيت إذا أحالته الزوجة إلى قطعة من قطع جهنم فإن الزوج سيهرب منه، ولن يطيل البقاء فيه .

وفَّقك الله حفيدتي الغالية، إلى جعل بيتك واحة أمن وسعادة، لك ولزوجك وأولادك)[1] .

---

(١) قالت لي جدتي – ص (٤٣ – ٤٥).

(٧)

زوجتي لا تعينني علي البر والتقوي ، بل هي من المثبطات الغافلات

بئس الزوجة التي لا تعين زوجها على البر والتقوى،ونعم الزوجة التي تعين زوجها على البر والتقوى .

نجد بعض الزوجات من تصدُّ زوجها مثلاً عن طلب العلم، أو تعوقه عن السعي في طريق البر والتقوى، إما بجهل، أو شبهة، أو عامدة متعمدة .

إذا همَّ بنفقة خذلته وذكرته بحاجة الأولاد لها، وإذاانطلق في طريق الدعوة وقفت في طريقه وأعاقته، وإذا علت همته في عبادة صوم أو صلاة ونحوهما كانت مثبطة له غير معينة له، فهمها إشباع رغباتها، وتلبية طلباتها والتمتع بدنياها حتى لو كان على حساب تضييع شيء من واجبات الزوج .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن : ١٤]

إن من الواجب على المرأة المسلمة ألا تقف حجر عثرة أمام زوجها، فتثبطه عن بعض الطاعات، ولا تحمسه للمسارعة في الخيرات والتنافس في أبواب المكرمات، بل عليها أن تعينه على البر والتقوى انطلاقًا من قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢٢]

ورحم الله الرافعي إذ يقول : « ومهما تبلغ المرأة من العلم فالرجل أعظم منها بأنه رجل، ولكن المرأة حق المرأة هي تلك التي خلقت لتكون للرجل مادة الفضيلة والصبر والإيمان، فتكون له وحيًا وإلهامًا وعزاءً وقوة، أي زيادة في سروره ونقصًا من آلامه، ولن تكون المرأة في الحياة أعظم من الرجل إلا بشيء واحد هو صفاتها التي تجعل رَجُلَها أعظم منها »[١] .

(١) وحى القلم(٢/ ١٥١) .

فيا أيتها الزوجة العاقلة تذكري ما آل إليه المسلمون من تفرقهم، وتشتت كلمتهم، وانصباب الفتن والمصائب عليهم وتذكري شيوع الجهل والفقر في صفوفهم، وركون أكثرهم إلى دنياهم وأهوائهم غير مبالين بسوء العاقبة التي تنتج عن هذا الحال المتردية .

فهل تستشعرين مسؤوليتك؟ وهل تستحضرين عظم الأمانة الملقاة على عاتقك؟ وهل يكون موقفك في مثل هذا الحال تثبيت الزوج، وحثه على طاعة ربه والقيام بأنواع القربات، والتضلع بأعباء الدعوة إلى الله عز وجل؟ أم يكون موقفك تثبيطه وإخلاده إلى الأرض من أجل أن يرضي شهواتك ويلبي رغباتك؟ .

إن اخترت الأولى فطوبى لك، وإن كانت الثانية فما أخسر صفقتك، وأسوأ عاقبتك .

ولكن ذات الدين تأبى الخسارة حين توضع الموازين بين يدي رب العالمين؛ فلا ترضى لنفسها ولا لزوجها بالدون ؛ فلا ترضى إلا بالثبات على الدين، والتواصي مع الزوج على ذلك ؛ فلها أسوة وسلف صالح في ذلك .

فهذه أمنا هاجر أم إسماعيل عليه السلام لما تركها أبونا إبراهيم ووليدها في أرض قفراء لا طعام فيها ولا ماء، ولا أنيس ولا سمير، وانطلق مجيبًا أمر ربِّه اتبعته هاجر وقالت له : يا إبراهيم ! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي لا أنيس فيه ولا شيء، فقالت ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها فقالت : آالله أمرك بهذا ؟ قال : نعم، قالت : إذًا لا يضيعنا[1] .

وهذه أم المؤمنين خديجة بنت خويلد تلك المرأة الصالحة الناصحة الصادقة العاقلة ﵂ حين أتاها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده راجعًا من غار حراء في ساعة هو في أشد الحاجة إلى من يسليه، ويهدىء من روعه وذلك حين نزل عليه جبريل بالحق من ربه، أتاها عليه الصلاة والسلام وقال لها : « **لقد خشيت علي**

---

(١) انظر صحيح البخاري (٣٣٦٤) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﵄ مطولاً .

نفسي » ، فقالت رضي الله عنها مسلية له : « كلا، والله ما يخزيك الله أبدًا ؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل [١]، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق » [٢]) [٣] .

ويقول الدكتور محمد على الهاشمى :

[ومن مآثر الزوجة المسلمة الراشدة، إعانتها زوجها على الطاعة في ضروبها المختلفة، ولا سيما قيام الليل، فإنها بذلك تُسدي إليها نفعًا عظيمًا، إذ تذكره بما قد يغفل أو يكسل عنه أو يتهاون فيه، وتكون سببًا في دخوله وإياها في رحمة الله .

وما أجمل الصورة الرضيَّة التي رسمها رسول الله ﷺ للزوجين المتعاونين على الطاعة، المتكافلين في تبادل الخير، الداخلين في رحمة الله، وذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **رحم الله رجلاً قام من الليل فصلّي ، وأيقظ امرأته فصلَّت ، فإن أبت نضح في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت فصلَت ، وأيقظت زوجها فصلَّي ، فإن أبي نضحت في وجهه الماء** »] [٤] .

وهذه بعض التوجيهات والنصائح لكل زوجة مسلمة، همتها ضعيفة، مصابة بداء الكسل والخمول، حتى ترتقي بهمتها وتسارع إلى الخيرات :

[١] العلم بالله تعالى الذي ينفض عن كاهلها غبار الجهل، فتعرف من تعبد؟ ولماذا خلقنا الله تعالى؟ وكيف تعبده حق عبادته؟ وبه تعرف أحكام دينها من الحلال والحرام، وهذا هو طريق البداية الصحيحة نحو الله تعالى ويتحقق ذلك إما بحضور دروس العلم وحلقات الوعظ والرقائق في المساجد، وإما

(١) **الكلُّ** : هو من لا يستقل بأمره ، ومنه قوله تعالي : ﴿ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ ﴾ [النحل : ٧٦] .
(٢) جزء من حديث رواه البخارى (٣)، ومسلم (١٦٠) وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها في قصة بدء الوحى الطويلة .
(٣) من أخطاء الزوجات ص (٢٢، ٢٣) .
(٤) شخصية المرأة المسلمة – ص (١٩٣، ١٩٤) .

بالقراءة النافعة للعلماء الربانيين، أو بسماع شرائط الدروس العلمية والمحاضرات لأهل العلم الثقات والدعاة العاملين بالكتاب والسنة .

[٢] أن تجعل لقاء الله تعالى منها على بال . قال الدقاق : من أكثر ذكر الموت أُكرم بثلاثة : تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوجل بثلاثة : تسويف التوبة، وترك الرضى بالكفاف، والتكاسل في العبادة .

[٣] الدعاء، فبه تُستمطر الرحمة، وتُستدفع النقمة، فإنه لا يخيب ولا يضيع من أوقع حاجته ﷺ وتوكل عليه وأناب إليه وأخلص العبودية له سبحانه، فتسأل الله تعالى في صلاتها أن يهديها صراط المستقيم .

[٤] التحول عن البيئة المثبطة الغافلة، فتتحرر من سلطان تأثيرها السلبي عليها، لاسيما إذا كانت في بداية طريق التوبة والهداية، والمرء على دين خليله، فلتصاحب كل مسلمة همتها عالية، وتعرض عن النماذج الرديئة الغافلة، وذكر الغزالي – رحمه الله – أن من آداب المتأدب أن : « يحترز عن مجالسة صاحب السوء، ليُقصي ولاية شياطين الجن والإنس من صحن قلبه، فيصفى عن لوثة الشيطنة » [١] .

[٥] الحذر من التسويف والتمني، فلتحذر المسلمة « سوف » و« السين » فإنهما شرٌ، ولتبادر إلى كل عمل صالح وتداوم عليه وتثابر نفسها في كل الظروف، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] [٢] .

---

(١) « أيها الولد » – ص (١٣٠) .
(٢) ونتصح كل مسلمة بقراءة رسالة « ذات الهمة » للمؤلف فإن بها نفع كبير إن شاء الله .

(٨)

زوجتي مقصرة في تربية الأولاد، تفتقر إلي المنهج العلمي والعملي في تربيتها لأولادها، بل وتفتقر إلي الهمة العالية والمثابرة علي حسن التربية والتوجيه.

مع خروج المرأة للعمل وزيادة ساعات عمل الرجل ليزيد دخل البيت وليواكب نفقات الأسرة، أصبح الأولاد صرعى تائهين قد افتقدوا إلى القدوة الصحيحة والموجه القدير والمربي الواعي .

والأم هي المدرسة الأولى لتربية الأولاد، فإن هي افتقدت إلى المنهج الصحيح لتربية الأولاد، أو حتى كان معها ولكنها افتقدت العزيمة القوية، والهمة العالية والصبر على حسن التربية ؛ نشأ الأولاد بلا شك وقد تربوا على منهج غير سوي، لا يكفل لهم التوجه الصحيح في المجتمع .

كثير من الفتيات قبل الزواج يكن عندهن أمل كبير في حسن تربية أولادهن - حتى بعض الأخوات الملتزمات - ثم بعد الزواج تتغير الصورة، فيفتقدن الهمة، وينشغلن عن أولادهن بأمور تقل أهمية ولا شك عن تربية الأولاد، أو يفتقرن إلى عدم معرفة الأولويات في مسؤوليتهن داخل البيت .

من هنا يظهر دور الزوج داخل البيت بإعانة زوجته على تربية الأولاد، بشرح المنهج التربوي في تربية الأولاد، وسلوك الخطوات العملية لتحقيق ذلك. ولأن الأولاد يمكثون مع أمهم أكثر مما يمكثون مع والدهم، لذا فقد وجب عليها أن تفهم حقيقة التربية الصحيحة، وتقوي من همتها في تحقيق ذلك، حتى نرى أمامنا أجيالاً صالحة من الأولاد .

إن من الواجب على كل أم صالحة (أن تربي أولادها على الطهارة والنظافة والعفة والشجاعة والزهد في سفاسف الأشياء، وملاهي الحياة، كي ينشأوا

مسلمين، يعيشون بالإسلام وللإسلام، يُكَثِّرُ الله تعالى بهم الخير في المجتمع، ويتباهى بهم وبأمثالهم رسول الله ﷺ غداً (١) .

وعليها أن تراعى الأمور الآتية حتى تنجح العملية التربوية :

[١] أن لا تتصرف أمام أبنائها بصورة توحي بأن سياستها التربوية تخالف سياسة الأب .

[٢] أن لا تعترض المرأة على زوجها أثناء تأديبه أولاده وبحضرتهم، فإن كان ولابد، فلها أن تبدي رأيها في أمور التربية على انفراد به، وعليهما الخروج بسياسة تربوية محددة .

[٣] أن تحرص على الصدق مع زوجها، وتصارحه بالحقيقة في أمورها كلها، وأن تعلمه بالأحداث التي تتم في غيبته، ولا تتستر على أخطاء أولادها الجسيمة، والتي يجب معرفة الأب بها .

[٤] أن لا تأذن ولا تعطي ولدها عند غياب أبيه ما منعه منه .

[٥] أن لا تبدي الزوجة أمام أبنائها أي إشارة رفض أو ضجر من بعض عادات الأب أو تصرفاته، وأن تحذر أن تُخَطِّئ أقواله وأفعاله، أو أن تنتقص منه، أو أن تتظلم لأولادها منه قبالتهم)(٢) .

يقول الأستاذ محمد رشيد العويد :

(من الإخفاء الخطير، الذي تلجأ إليه الزوجة، إخفاء أخطاء أولادها عن أبيهم، يدفعها إلى هذا الإخفاء حبها لأولادها، وعطفها عليهم وخشيتها من عقاب أبيهم الشديد لهم . . .

وتكون النتيجة استمرار الأبناء في الخطأ، وثباتهم عليه، لأنهم وجدوا في

---

(١) ومن خير ما يسترشد به الأبوان فى هذهالتربية كتاب « منهج التربية النبوية للطفل » لمؤلفه محمد نور سويد جزاه الله خيراً ، فإنه فى جملته من خير ما يسدّ هذه الثغرة .

(٢) عودة الحجاب [illegible] .

أمهم ساترًا لهم عن أبيهم، حاميًا لهم من عقابه .

ولأضرب مثلاً على هذا الإخفاء، ببدايات تدخين أولادها . إنها تكتشف فجأة أن ولدها الصغير يدخن بعض السجائر خفية ؛ كأن تعثر على علبة سجائر في جيبه أو تشم رائحة الدخان في الحمام بعد خروج ولدها منه . . . فماذا تفعل؟ .

ربما تهدد ولدها بإخبار أبيه، وقد تصرخ فيه، وقد تصادر علبة السجائر منه . . . . لكنها لا تتجاوز هذا، وأمثاله، في أغلب الأحيان .

إنها ترتكب الخطأ نفسه : الإخفاء، إخفاء أمر تدخين ولدها عن أبيه، بل ربما تنفي أمر تدخينه إذا علم والده به ! ودافعها إلى هذا كله، كما ذكرت، هو حبها لولدها . . . وإشفاقها عليه .

ستمر بك، حفيدتي الغالية، أمثال هذه المواقف تجاه أخطاء أولادك، فهل تخبرين زوجك بأخطائهم منذ البداية . . . وتعرضينهم لعقاب أبيهم الشديد . . . أم تخفين عنه أخطاءهم . . أملاً في أن تنجحي وحدك في علاج تلك الأخطاء؟ .

لابد من إخبار أبيهم، منذ البداية، وعدم إخفاء شيء عنه . وإذا كنت تخشين شدة عقابه، لما تعرفينه فيه من عنف وسطوة، فبإمكانك بحث الأمر معه بهدوء، والاتفاق مسبقًا على طريقة المحاسبة، ومحاصرة الخطأ في سلوك أولادكما، واقتراح سبل العلاج الممكنة .

أعرف كثيراً من الأمهات، أخفين أخطاء أولادهن عن آبائهم، فلم يعلم بها هؤلاء إلاّ بعد استفحالها واستشرائها، مثل تمكن عادة التدخين منهم، إذا كان الخطأ في التدخين، أو اتصال المخفر بهم ؛ إذا كان الخطأ يتعلق بانحرافات أكبر .

ألا ترين إلى النار، حين تكتشف من بدايتها، كيف يمكن السيطرة عليها وإطفاؤها، وكيف يصعب السيطرة عليها وإطفاؤها حين تمتد وتنتشر وتخرج عن

نطاق التحكم فيها ؟!

أنا لا أطلب منك أن تضعي العاطفة جانبًا، فالعاطفة أمر طيب مطلوب، إنما أطلب منك أن تجعلي عاطفتك مبصرة، حكيمة، عاقلة ! .

ألا يشبه الطفل المخطئ الطفل المريض ؟ فإذا أشفقت الأم على طفلها المريض من ألم الحقنة . . زاد المرض وانتشر وهدد حياته . لكنها تعطيه الحقنة، مع ما فيها من ألم، لتنجيه من ألم أشد .

وهكذا الطفل المخطئ، فألم عقاب والده، مهما كان شديدًا، يبقى أهون بكثير من عقاب الحياة في المستقبل، أو عقاب القانون، إذا استمر الخطأ وكبر حتى أصبح جريمة .

ولعل خير الأوقات التي تخبرين فيها زوجك بخطأ ولدكما، هو في الليل بعد نومه، فإن أباه لا يستطيع أن يناديه فورًا ليصب جام غضبه عليه، ولا معدى له من انتظار الصباح على الأقل، وهذا يعطي فسحة من الوقت لتهدأ أعصاب أبيه الثائرة، وفرصة لك للتخفيف من غضبه ودعوته لمعالجة الأمر بهدوء ورويّة .

وكذلك حين يكون ولدك خارج البيت، كأن يكون في مدرسته، فهذا أيضًا يعطيك فرصة لتهدئة مشاعر الغضب لدى زوجك .

المهم أن تحذري إبلاغه بخطأ ولدكما وهو في البيت، لأنك لن تستطيعي أن تضمني طريقة رد فعل والده تجاهه)[1] .

كما ينبغي على المرأة المسلمة – لا سيما إذا كان زوجها من أهل العلم والدعوة – أن تهتدي برأيه وبتصوره في تربية الأولاد، ولا تهمل ذلك أبدًا فتسلك بمفردها أسلوبًا أو منهجًا تعتقد أنه الصواب وغيره غير نافع أو غير صحيح . فالمرء كلما ازداد علمًا كلما كان لديه المقدرة على وضع المنهج النظري والعملي التربوي لأي جانب من الجوانب الدعوية أو التربوية - غالبًا - ومنها ما

---

(١) قالت لي جدتي « نصائح وتوجيهات إلي جميع الزوجات » ص(١٠٥ - ١٠٩) .

يتعلق بتربية الأولاد، فهو دائماً يقرأ أكثر، ويبحث ويسأل أهل العلم ويستمع إلى دروسهم، لذلك فإن همته عالية ووصوله إلى الطريق الأصوب أقرب من غيره، فضلاً عن مسؤوليته الأولى داخل الأسرة كقيِّم عليها .

(٩)

زوجتي لا تحافظ علي مشاعري وأحاسيسي ، فكثيراً ما تأتي بما لا يرضيني ، ولا تتجنب ما يؤذيني ، ولا تبالي بغضبي منها .

يقول الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - : « وينبغي على المرأة العاقلة إذا وجدت زوجًا صالحًا يلائمها أن تجتهد في مرضاته، وتتجنب كل ما يؤذيه، فإنها متى آذته أو تعرضت لما يكرهه، أوجب ذلك ملالته وبقى ذلك في نفسه، فربما وجد فرصته فتركها أو آثر غيرها، فإنه قد يجد ولا تجد هي، ومعلوم أن الملل للمستحسن قد يقع، فكيف للمكروه ؟ »[١] .

إن الزوجة التي تحافظ على مشاعر زوجها امرأة حسنة الخلق، هينة لينة، حسنة العشرة .

وهذا مثل غاية في الرفعة والمحافظة على مشاعر الزوج، والحرص على ما يرضيه فتأتيه، وما يغضبه فتتجنبه :

قالت أسماء رضي الله عنها : تزوجني الزبير، وما له في الأرض من مال ولا شيء غير فرسه وناضحه[٢]، فكنت أعلف فرسه – زاد مسلم : وأسوسه – وأدق النوى لناضحه، وأستقي الماء وأخرز غربه[٣]، وأعجن، وكنت أنقل النوى على رأسي من ثلثي فرسخ[٤]، حتى أرسل إليَّ أبو بكر بجارية، فكفتني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني، فجئت يومًا والنوى على رأسي، فدعاني رسول الله ﷺ ، فقال : «إخ إخ» ، يستنيخ ناقته ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته – وكان أغير الناس – فعرف رسول الله ﷺ أني قد

---

(١) أحكام النساء – ص (٧٨) .
(٢) أى بعيره الذى يستقى عليه .
(٣) أى : أخيط دلوه بالخرز .
(٤) حوالى ٣,٣٦ كم .

استحييت، فجئت الزبير فحكيت له ما جرى، فقال : والله لحمْلُك النوى على رأسك أشدُّ عليَّ من ركوبك معه ﷺ) (١) .

فالشاهد من كلام أسماء :

« وذكرت الزبير وغيرته، وكان أغير الناس » يدل دلالة واضحة على مراعاتها لمشاعر زوجها، وتجنب ما يسخطه حتى لو لم يراها، فهل تفقه المسلمة هذا الموقف وتسمو بأخلاقها إلى هذا المستوى الرائع؟! .

وهذا مثال رائع آخر في حسن مراعاة مشاعر الزوج وأحاسيسه :

(دخلت سُعدى على زوجها طلحة بن عبيد الله فرأت على محياه سحابة هم لم تعرف سببها، وخشيت أن تكون قد قصرت في حق أو فرطت في واجب فبادرت قائلة : مالك لعلك رابك منا شيء فنعتبك ؟

قال : لا، ولنعم حليلة المرء المسلم أنت، ولكن اجتمع عندي مال ولا أدري كيف أصنع به .

قالت : وما يغمك منه، ادع قومك فاقسمه بينهم .

قال : يا غلام عليَّ بقومي، فقسم أربعمائة ألف (٢) .

ويفسر لنا الشيخ مازن الفريح هذا الحديث، ويبين لنا الأسس التي يفتقدها الأواج في عشرتهم الزوجية، فيقول:

هاهي سعدى تتفقد زوجها في مشاعره وأحاسيسه، فهي تشعر بمعاناته، وتعيش همومه وغمومه، وتفرح لفرحه، وتحزن لحزنه، ليس هذا فقط، بل إنها ارتابت في نفسها أن تكون هي سبب همه وغمه، كذلك هي مستعدة للرجوع عن الخطأ والإساءة من أجل أن تُرجع لذلك الرجل ابتسامته وسروره .

---

(١) رواه البخارى (٩ / ٢٨١)، ومسلم برقم (٢١٨٢) وغيرهما .

(٢) رواه الطبرانى بإسناد [illegible] .

وتكشف سُعدى عن زهدها حين حثت زوجها على الصدقة والإنفاق، فهي الزاهدة الصالحة التي تجاوزت حدود نفسها، وتخطت لذائذ ذاتها في فستان جديد، أو حلي جميل، أو سفر مع الزوج الحبيب، كما تفكر فيه كثير من نساء اليوم . .

إنها حملت هموم أصحاب البطون الخاوية، والأقدام الحافية، والثياب البالية، فقالت : ادع قومك فاقسمه بينهم .

ولا يمكن أن نغفل هذا الصنيع الجميل للزوج الذي امتدح زوجته فقال : « ولنعم حليلة المرء المسلم أنت » ويا له من أسلوب آسر لقلب الزوجة حين تسمعه من أعز الناس عليها .

كما أن الزوج لم يدع زوجته تعيش على هامش حياته فبادلها بعض همومه، وأسرَّ إليها ببعض خلجات نفسه، لأنه يعلم أن هذا البث وهذه الشكوى تحب سماعها المرأة من زوجها، لأنها تشعر عندئذٍ أنها تعيش في فؤاده، وتغوص في أعماقه .

ويروى أن : رسول الله ﷺ أخبر أصحابه أن امرأة الحطاب من أهل الجنة بفضل صنيعها لزوجها فلما سئلت قالت : إن زوجي إذا خرج يحتطب – يجمع الحطب من الجبل فيبيعه ويشتري ما يحتاجه – أحس بالعناء الذي لقيه في سبيل رزقنا، وأحس بحرارة عطشه في الجبل تكاد تحرق حلقي، فأعد له البارد حتى إذا ما قدم وجده، وقد نسقت متاعي، وأعددت له طعامه، ثم وقفت أنتظره في أحسن ثيابي، فإذا ما ولج الباب استقبلته كما تستقبل العروس عروسها الذي عشقته، مسلمة نفسي إليه، فإن أراد الراحة أعنته عليها، وإن أرادني كنت بين ذراعيه كالطفلة الصغيرة التي يتلهى بها أبوها : تلك هي الأسباب التي تقف وراء دخول تلك المرأة الجنة .

وما أحوجنا حقًا في هذه الأيام إلى أن نسير في درب تلك المرأة في سلوكها مع زوجها، وجعل راحة الزوج والاهتمام بتربية الأولاد هما الغاية الأسمى التي تنفعنا في الدنيا والآخرة) [١] .

إن المرأة العاقلة ينبغي عليها أن توظف ذكاءها وموهبتها وطاقتها في فهم زوجها، تراقبه من أول ليلة، وتعرف مفاتيح هذا الرجل الذي أصبح شريك حياتها، ما يفرحه وما يحزنه، إذا غضب وصار جمرة من نار كيف تطفئها، وإذا فرح كيف لا تكدر خاطره، وهذا من تمام عقلها .

أما المرأة « الغبية » والتي تسقط من عين الرجل، هي التي لا تراعي مشاعره، تراه مُسهد الطرْف لا ينام فلا تسأله ولا تقترب منه ؛ بل تهمله .

ينبه عليها أكثر من مرة على بعض الأخلاق الذميمة والسلوكيات التي تصدر منها ولا يحبها ومع ذلك نجدها مستمرة في الإهمال، ثم بعد ذلك تشكو زوجها إذا غضب أو ضرب ! إن الإحسان يدق العنق، فقدمي الإحسان وراعي مشاعر الزوج وأحاسيسه فهو طريقك إلى الجنة أو إلى النار .

يقول الأستاذ محمد رشيد العويد :

[حفيدتي الغالية . . .

هل تعتقدين أن زوجك لا يقبل النصيحة عناداً منه وإباءًا ؟

أنا لا أعتقد ذلك . .

فالزوج، حين يرفض نصيحة زوجته ؛ لا يرفضها لذاتها، في الأغلب، إنما يرفضها للأسلوب الذي قيلت فيه .

ولأضرب لك مثلاً :

الجو خارج البيت شديد البرودة، غزير المطر، وزوجك يريد الخروج للسهر

---

(١) أسرار الزواج السعيد، بثينة العراقي ،ص (١٧٧-١٧٩) .

عند أحد أصدقائه المقيمين في مكان بعيد عن بيتكما ... وتريدين أن تنصحيه بالبقاء في البيت، فهل تقولين له :

■ مجنون من يخرج في هذا الجو ! .

■ أو : إذا أردت أن ترجع مريضًا فاخرج الآن .

■ أو : لو كنت أنا التي طلبت منك أن نخرج الآن لما خرجت .

إن مضمون النصيحة صحيح، والغاية منها مقبولة ومعقولة، ولكن الأسلوب الذي عرضت فيه يدفع زوجك إلى الرفض ... عنادًا، أو مكابرة، أو غير ذلك .

ففي العبارة الأولى اتهام للزوج بالجنون، وفي الثانية تهديد له بنتيجة ضارة به، وفي الثالثة محاولة للإحراج والإدانه وتسجيل موقف .

وكان يمكن للزوجة أن توصل نصيحتها لزوجها في أسلوب آخر يجعله متقبلاً لها، وأكثر قناعة بها .

ولأضرب لك أمثلة :

■ لو خرجت في هذا الجو فسيبقى بالي مشغولاً عليك حتى تعود .

■ أخشى عليك المرض إن خرجت في هذا الجو البارد .

■ أجّل الزيارة إلى وقت آخر يكون فيه الجو أفضل .

■ الأولاد مشتاقون إليك ويريدونك أن تجلس معهم اليوم .

ففي العبارة الأولى أظهرت خشيتك عليه، وجعلت سبب رغبتك في عدم خروجه منطلقًا من حرصك على سلامته، وهذا يجعله مستمعًا للنصيحة ومتقبلاً لها .. حتى وإن لم يعمل بها .

كذلك العبارة الثانية أظهرت فيها حرصك على صحته ... وخشيتك من أن يسبب له المرضَ خروجُه في هذا الجو البا

وفي العبارة الثالثة أكدت له أنك لا ترفضين زيارته صديقه من حيث المبدأ .. ولكنك تطلبين منه تأجيلها إلى وقت يكون الجو فيها أفضل من جو اليوم .

أما العبارة الرابعة ففيها إثارة لعاطفة الأبوَّة في نفسه، وتحريك لمشاعر الحنان تجاه أولاده الذين يفتقدونه ويريدون الجلوس معه .

إن كثيرًا من الطلبات المتبادلة بين الزوجين ... لا تلقى قبولاً منهما ؛ لا لمضمونها، إنما للأسلوب الذي صيغت فيه .

بل إن هذا الأمر ليس قاصرًا على ما بين الزوجين فحسب ؛ بل هو يشمل كل ما في الحياة من قضايا ودعوات . فقد تكون هذه القضايا والدعوات على حق ... لكن أسلوب توصيلها خاطئ .

ومن هنا نفهم قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] لأنه لا يكفي أن تكون الرسالة سماوية حتى يؤمن بها الناس ... بل لابد أيضًا أن يكون الرسول ربَّانيًا .

ولهذا قال الله تعالى مخاطبًا نبيه الكريم ﷺ : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] فلا يكفي أن يكون القرآن موحىً به من الله تعالى .. حتى يلتفّ الناس حول الرسول ... بل لابد أن يكون رحيمًا بهم، رؤوفًا بحالهم، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

لعل الأمر الآن بات واضحًا لديك حفيدتي الغالية، وهو أن أسلوب الطلب، طلب أي شيء، له دوره في قبول الطرف الآخر له، والطرف الآخر هنا هو زوجك .

فكّري قبل أن تطلبي من زوجك شيئًا، وراجعي صيغة الطلب في نفسك، قبل أن تعلنيها على لسانك .

والله يوفقك ويرعاك ويديم المودة بينك وبين زوجك] (١) .

---

(١) قالت لي جدتي ، ص (٨٩ - ٩٣) .

وما أجمل هذه الوصية فاسمعيها واعقليها أيتها الزوجة العاقلة :

فقد رُوي أن أسماء بنت خارجة الفزاري قالت لابنتها عند التزوج :

(إنك خرجت من العش الذي فيه درجت، فصرت إلى فراش لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أرضًا يكن لك سماءً، وكوني له مهادًا يكن لك عمادًا، وكوني له أمة يكن لك عبدًا، لا تلحفي به فيقلاك[1]، ولا تباعدي عنه فينساك، إن دنا منك فاقربي منه، وإن نأى عنك فابعدي عنه، واحفظي أنفه وسمعه وعينه، فلا يشمن منك إلا طيبًا، ولا يسمع منك إلا حسنًا، ولا ينظر إلا جميلاً) .

---

(١) أي : لا تلحي عليه فيكرهك .

(١٠)

زوجتى لا تبر أهلى من والدين وأخوات ،مما يؤلمنى ويشعرنى بعدم احترامها لى .

(إن من أدب الإسلام أن تؤثر الزوجة رضى زوجها على رضى نفسها، وأن تكرم قرابته خصوصًا والديه، ويتأكد هذا إذا كانت تقيم معهما، وفي إكرامهم إكرام لزوجها، ووفاء له، وإحسان إليه ؛ لأنه مما يفرحه ويؤنسه، ويقوي رابطة الزوجية، وآصرة الرحمة والمودة بينهما .

وإذا كان الزوج أعظم حقًا على المرأة من والديها، وإذا كان الابن مأمورًا شرعًا بأن يحفظ وُدَّ أبيه تقوية للرابطة الاجتماعية في الأمة، فإن الزوجة مأمورة شرعًا بأن تحفظ ودَّ أهل زوجها من باب أولى لتقوية رابطة الزوجية في الأسرة، قال رسول الله ﷺ : « **إن من أبرِّ البر أن يحفظ الرجل أهل ودِّ أبيه** » فلأن تحفظ المرأة أهل ودِّ زوجها من باب أولى .

كما أن إكرام الزوجة إياهما وهما في سن والديها خلق إسلامي أصيل :

عن عبادة بن الصامت ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ليس منَّا من لم يُجلَّ كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرفْ لعالمنا حقَّه** »[١]، وعن ابن عمرو ﷺ مرفوعًا : « **ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شرف كبيرنا** »[٢] .

وعن أنس وأسامة والأشعث ﷺ مرفوعًا : « **ليس منَّا من لم يرحم**

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥ / ٣٢٣)، والحاكم (١ / ١٢٢)، و حسنه الألباني فى « صحيح الترغيب » (٩٦) .

(٢) رواه البخارى فى « الأدب المفرد » رقم (٣٥٦)، والترمذى رقم (١٩٢٠)، وقال : حسن صحيح، والحاكم (١ / ٦٢)، و صححه علي شرط مسلم ، ووافقه الذهبى ، والإمام أحمد (٢ / ١٨٥، ٢٠٧، ٢٢٢) و صححه الألباني فى « صحيح الجامع » (٥ / ١٠٣) .

صغيرنا، ويوقر كبيرنا »[١] .

وفي إحسانها لوالديها شكر لهما على ما أنعم الله عليها من ولدهما الذي تسببا في وجوده من العدم، وربياه، فأصبح زوجًا لها، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من لا يشكر الناس لا يشكر الله »[٢] الحديث، وعن ابن مسعود وغيره رضي الله عنهم مرفوعًا : « أشكرُ الناس لله أشكرهم للناس »[٣] .

يقول الدكتور محمد الصباغ حفظه الله :

(إن على الزوجة الفاضلة أن لا تنسى منذ البداية أن هذه المرأة التي قد تشعر أنها منافسة لها في زوجها هي أم هذا الزوج، وأنه لا يستطيع مهما تبلّد فيه إحساس البر أن يقبل إهانة توجه إليها، فإنها أمه التي حملته في بطنها تسعة أشهر، وأمدته بالغذاء من لبنها، ووقفت على الاهتمام به حياتها حتى أصبح رجلاً سويًّا .

واعلمي أيتها الزوجة أن زوجك يحب أهله أكثر من أهلك، كما أنك أيضًا تحبين أهلك أكثر من أهله، فاحذري أن تطعنيه بازدراء أهله أو انتقاصهم أو أذيته فيهم، فإن ذلك يدعوه إلى النفرة منك .

إن تفريط الزوجة في احترام أهل زوجها تفريط في احترامه، وإن لم يقابل الزوج ذلك بادىء الأمر بشيء، فلن يسلم حبه إياها من الخدش والنقص والتكدير.

إن الرجل الذي يحب أهله ويبر والديه إنسان صالح فاضل جدير بأن تحترمه

---

(١) رواه الترمذى رقم (١٩١٩) ، وقال : غريب ، وصححه الألبانى فى « صحيح الجامع » (٥ / ١٠٣) .

(٢) رواه الإمام أحمد (٣ / ٧٣ - ٧٤) ، والترمذى رقم (١٩٥٤) ، (١٩٥٥) ، وقال : حسن صحيح ، وصححه الألبانى فى « تحقيق المشكاة » حديث رقم (٣٠٢٥) ، (٢ / ٩١١) .

(٣) رواه الإمام أحمد (٣ / ٣٢) ، (٥ / ٢١١) ، وابن عدى فى « الكامل » (٥ / ٧٩٤) ، والبيهقى (٦ / ١٨٢) ، والطبرانى (١ / ١٣٥) ، (١ / ٢٠٧) ، والحديث صححه الألبانى فى « صحيح الجامع » (١ / ٣٣٧) .

زوجته، وترجو فيه الخير) [١] .

احرصي أيتها الزوجة العاقلة ..

على اتباع كل الأساليب التي تكسبي بها مودة زوجك، وتبعد عنك غضبه وكراهيته، حتى تصبح علاقتك به علاقة انسجام وود وتفاهم وحب .

وأما ما يتعلق بالمعاملة مع والدة زوجك، وأخواته، وأقربائه، فلن يضيرك شيء إذا حرصت على ذكرهن بخير أمامه، حتى لو وصفتهن بأخلاق حسنة ليست فيهن، وذكرتهن بصفات طيبة لا تنطبق عليهن .

فبذلك يحبك زوجك أكثر وأكثر، وسيقدر لك ذكرك الحسن لأمه وأهله، وسينقل حديثك عنهم إليهم، فيستميل به قلوبهم نحوك، وتزداد المودة والمحبة بينكم جميعًا، وكل ذلك بسبب حسن صنيعك هذا، وحسن تصرفك .

يقول الدكتور محمد على الهاشمي :

(ومن برّ الزوجة المسلمة الحصيفة وحسن معاشرتها زوجها : إكرامُ أمّه واحترامُها وتقديرُها ؛ ذلك أن المرأة المسلمة الواعية هَدْيَ دينها تدرك أن أعظم الناس حقًا على الرجل أمُّه، كما رأينا في حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها السالف الذكر، فهي تعينه على إكرام أمّه وبرّها، بإكرامها هي أيضًا لأمه وبرّها، وبذلك تكون محسنة لنفسها، ومحسنةً لزوجها، ومعينةً على البرّ والتقوى والعمل الصالح الذي أمر به القرآن الكريم، وتكون في الوقت نفسه امرأةً حبيبةً إلى قلب زوجها، الذي يقدر إكرامها وبرّها لأهله عامة، ولأمه خاصة، إذ ما من شيء أثلج لقلب الرجل البرّ الكريم الشهم من أن يرى أواصر الودّ والاحترام والتقدير والتواصل معقودة بين زوجه وأهله، وما من شيء أبغض لقلب الرجل الكريم من أن يرى تفكّك تلك الأواصر وتقطّعها، واستحكام الشر والبغض والحقد والضغينة والكيد بين زوجه وأهله، والأسرة المسلمة التي استروحت عبير

(١) « نظرات فى الأسرة المسلمة » ص(٨٧ ، ٨٨) بتصرف . وانظر عودة الحجاب(٢ / ٥٠٦ - ٥٠٨) .

الإيمان بالله، واستضاءت عقول أفرادها وقلوبهم بهَدْي الإسلام الحنيف، بعيدة كلّ البعد عن الارتكاس في حمأة هذه الخلائق الجاهلية التي تُعَشِّش عادةً في البيئات البعيدة عن هَدْي الله وتعاليم دينه الحق القويم .

وقد تُبْتَلَى الزوجة بِحَماة[1] أو بأحماء ليسوا على خلق حسن، فواجبها في مثل هذه الحالة أن تحسن التعامل معهم بشيء غير قليل من اللباقة والكياسة والمجاملة والتلطف والدفع بالتي هي أحسن، بحيث تحفظ التوازن في صلاتها بأحمائها وزوجها، وتجنب نفسها وحياتها الزوجية أيّ أثر قد ينعكس عليهما من اختلال ذلك التوازن) [2] .

وفي نصيحة أحد الأزواج لزوجته يقول لها ناصحاً ومذكراً :

(لأهلي حقوق عظيمة وأعظمها : حق والديَّ ثم إخوتي، ولقد نشأت وتربيت في بيت والديَّ سنوات طويلة، وأكلت مع إخوتي سنوات متتالية .. وبيننا من الود والحب والاحترام والتقدير ما أرى أنك تعرفينه وترينه ! ولكنك في الفترة الأخيرة بدأت تتذمرين وأحيانًا تلقين بعض الكلمات إذا قمت بزيارة أهلي ... وأنت شخصيًا أرى عليك سحائب من الكبر وكتل من البرود حينما تستقبلين أبي أو عندما ترين أمي ! وهذا ليس من حسن الجميل، ولا من صفات المؤمنة الصالحة التقية النقية .. ولا يغرك ابتسامتي لك وكثرة حديثي معك .. فهم أهلي، وذاك والدي وتلك والدتي ! وهم مُقدَّمون في الإحسان والمعروف وبذل الندى والبر عليك وعلى كل الرجال والنساء .. فأحبي ما أحبه الله عز وجل وأمر به من البر والصلة، وأحبي ما ترين أني أحبه وأعينيني على برهم وصلتهم .. فذكريني إذا نسيت ونبهيني إذا غفلت .. وقد سمعت أن كثيراً من الأزواج قد انقلب على أهله وتكدر ما بينهم لإصغائه إلى صوت واحد هو صوت

---

(١) هي أم الزوج ، **والأحماء** : أهل الزوج عامة .

(٢) شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة – ص (١٧٦، ١٧٧) .

زوجته وكذبها وتصيدها للأخطاء .. فهي سيئة الطبع خبيثة السريرة تنقل المواقف إليه إذا أساء أحد إليها (دون قصد) ولا تنقل المواقف التي أساءت إليهم بقصد !! .

وكم من بيت تصدع بنيانه وتفرق أهله وعق الزوج أمه وأباه بسبب حية تسكن جنبه وتلد أبناءه ! .

والزوجة – يا زوجتي – هناك زوجة بدلاً منها والنساء كثير !! ولكن الوالدان والأهل ليس لهم بدل .. وأراك تعين قولي ! وتتذكرين المرة الأخيرة التي كان بيني وبينك فيها نزاع وخلاف عدت إليهم واستشرتهم ! فكانوا خير المستشارين ... وأثنوا عليك خيراً وألزموني بحل الأمر .. فأين المكافأة لهم؟!!) [1] .

---

(١) رسائل متبادلة بين زوجين، عبد الملك القاسم ، ص (٦٨، ٦٩) .

(١١)

زوجتي امرأة فاترة تفتقد إلى المشاعر والأحاسيس ، لا تملأ على نفسي ، ولا تعرف الطريق إلى غزو قلبي ، معاندة غير متسامحة، تفشل كثيرًا في مشاركتي أفراحي وأتراحي .

(لا يغيب عن بال المرأة المسلمة الواعية الحصيفة أن من أجَلِّ أعمالها في الحياة، بعد عبادة ربها، أن تنجح في الدخول إلى قلب زوجها، وأن تملأ نفسه، بحيث يحسّ في قرارة نفسه أنه سعيد باقترانه بها، هنيء في عيشه معها، منعَّم بصحبتها، ومن هنا هي تستخدم ذكائها في معرفة الوسائط والأسباب التي تفتح مغاليق قلب زوجها، لتدلف إليه بيسر وسماحة وغبطة، ولتجلس على عرشه مُنَعَّمةً هانئةً سعيدةً .

إنها لتدرك أنها خير متاع في الحياة الدنيا في حسّ الرجل، كما جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ : « الدُّنيا مَتاعٌ ، وخيرُ متاعِ الدُّنْيا المرأَةُ الصالحةُ » (١) .

ولا يغيب عنها أنها تكون خير متاع الدنيا، إن هي عرفت كيف تدخل قلب زوجها وتملأ نفسه . أما إذا لم تعرف كيف تدخل قلب زوجها ولم تملأ نفسه، فإنها تكون في الغالب مصدر شقاء لزوجها وتعاسة ونكد . وهذا ما أكّده رسول الله ﷺ بقوله : « منْ سَعادَة ابن آدَمَ ثَلاثَةٌ ، ومنْ شقوَة ابن آدم ثلاثَةٌ . منْ سَعَادة ابنِ آدمَ : المرأةُ الصالحةُ ، والمَسْكن الصالح ، والمَرْكَبُ الصالحُ . ومن شِقْوَة ابنِ آدمَ : المرأةُ السُّوء ، والمَسْكن السوءُ ، والمَرْكَبُ السُّوءُ » (٢) .

ومن هنا كان حُسنُ تبعل المرأة زوجها، ودخولها قلبه من الدين لأن في ذلك

(١) صحيح مسلم (١٠/ ٥٦) كتاب الرضاع : باب استحباب نكاح البكر .
(٢) رواه أحمد (١/ ١٦٨) ، ورجاله رجال الصحيح .

عفّة للرجل وحصانةً، وتوطيداً لدعائم الأسرة ومتانة، وسعادة لها ولزوجها ولأولادها وغبطة .

وإذا كانت المرأة بفطرتها تحب غَـزْوَ قلب الرجل، وتجد في ذلك إرضاءً لأنوثتها، وإرواءً لنزعة الجاذبية والإغراء فيها، فإن المرأة المسلمة لا تقف عند هذه الدواعي والأسباب والنزعات، وإنما تجد في استمالة قلب زوجها إرضاءً ﷺ عز وجل الذي جعل حسن تبعّلها زوجها ديناً، تحاسب عليه، ومن هنا هي لا تألو جهداً في تودّدها لزوجها وتحبّبها إليه، بالمظهر الحسن، والكلمة الطيبة، والمعاشرة الراقية الحصيفة المحبَّبة) [١] .

(ومما تدخل به المرأة قلب زوجها وتملأ نفسه : مشاركتُها إياه في أفراحه وأتراحه، وفي همومه ومسرّاته .

إنها لتشاركه بعض هواياته وأعماله اليومية، كالقراءة والرياضة والاستماع إلى بعض الأحاديث المفيدة، وغير ذلك، بحيث يشعر الزوج أنه ليس وحده في استمتاعه بطيّبات الحياة، وإنما تبادله كؤوسها الشهية المترعة زوجة وفية مرحة حصيفة وَدود .

وفي مسابقة الرسول الكريم ﷺ للسيدة عائشة غير مرّة : دليلٌ على حض الإسلام الزوجين كليهما على مشاركة كُلٍّ منهما إلفَهُ مُتَعَ الحياة ومسراتها ومباهجها، لما لتلك المشاركة من أثر كبير في ريّ العاطفة الزوجية، وتوطيد أواصرها، وتوثيق عراها .

وكما شاركته أفراحه ومسرَّاته تشاركه همومه وأحزانه وأتراحه، فتكون إلى جانبه بالكلمة الطيبة المؤنسة المواسية، والرأي السديد الناضج الناصح، والتعاطف القلبي الصادق الملطِّف) [٢] .

---

(١) شخصية المرأة المسلمة – ص (١٩٤، ١٩٥) .
(٢) المصدر السابق – ص (١٩٨، ١٩٩) .

(والمرأة المسلمة متسامحة صَفوح، تتجاوز عن الهفوات إن وقعت من زوجها، ولا تحفظ له تلك الهفوات، ولا تذكّره بها بين الحين والحين . وما من صفة توصد أبواب قلب الرجل مثل صفة حفظ الهَنَّات، وتعداد السيئات، والتذكير بالهفوات .

والمرأة المسلمة الوقّافة عند هَدْي دينها المتمثّل في قوله تعالى : ﴿ ولْيَعْفُوا ولْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [النور : ٢٢]، هي هي الجديرة بالتربع على عرش قلب زوجها، وهي هي الخليقة بأن تُتْرِعَ نفسه بالبشر والسعادة والحبور) [١] .

ويقول الأستاذ محمد رشيد العويد تحت عنوان « نظرة ... لمسة ... ملاطفة تفعل الكثير » :

(ألست معي حفيدتي الغالية، في أن قطرات قليلة من الماء ؛ يمكن أن تنقذ نبتة صغيرة من أن تيبس وتموت ؟! .

وأن نسمات صافيات من الهواء ؛ يمكن أن تنقذ إنسانًا كاد يختنق في غرفة انعدم فيها الهواء ؟! .

كذلك حياتك مع زوجك ؛ قد تتراكم عليها المشكلات، وتزدحم فيها المنغصات، حتى تصبح مهددة بالموت الذي هو الطلاق .. يمكن أن تنقذها نظرة دافئة، أو لمسة حانية، أو موقف زاخر بالحب .

مجلة « وومانز داي » النسائية الأمريكية دعت قراءها وقارئاتها إلى الاشتراك في مسابقة بعنوان « أكثر الأيام رومانسية في حياتي » فتلقت - المجلة - الكثير من الردود التي تحمل قصصًا طريفة مليئة باللمسات الحانية والعبارات الرقيقة بين الزوجين .

---

(١) المصدر السابق – ص(٢٠١) .

قالت المجلة : « لقد اندهشنا للردود الحارة والسريعة التي وافانا بها القراء الأعزاء عن اللحظات الأكثر رومانسية في حياتهم .

ومن خلال قراءة آلاف الرسائل .. اتضح لنا أن الرومانسية يمكن أن تتحقق في لمسة أو لفتة أو عبارة لا تكلف شيئًا في بعض الأحيان، أو في ترتيب عمل أو إجراء فيه تكلفة وبذخ . وفي بعض الحالات تأتي هذه اللمسة أو العبارة الرقيقة بصورة عفوية في اللحظة نفسها » .

تقول مارتا ساكسيان التي فازت بالجائزة الأولى أنها أنقذت زوجها من خطر إخفاق عملية جراحية أجريت له في المخ واستمرت ثماني ساعات . فقد أخبرها الأطباء أن الاحتمال الأكبر هو حدوث تلف في المخ رغم العملية، وأعربوا عن يأسهم من شفائه . إلاَّ أن « مارتا » دخلت على أطراف أصابعها وهمست في أذن زوجها .. بعد ساعات قليلة من إجراء العملية : « عزيزي هارولد .. حرّك أصابع قدميك » فتحركت أصابع قدميه وهو يهمس « نعم يا أعزّ الناس » . وقالت له : « انظر إلى المرآة » ففتح عينيه ونظر إلى المرآة، وبدأ قلبه يدق بانتظام.. بعد أن كان قريبًا من الموت .

رسالة أخرى عن زوج حدث خلاف بينه وبين زوجته فآثر الصمت والهدوء، وفي مساء اليوم التالي وجد تحت الوسادة رسالة رقيقة من زوجته تعتذر فيها إليه بأنها كانت متعبة وعصبية، وتطلب منه أن يسامحها لأنها واثقة من عطفه وقلبه الكبير . وكان الصلح بينهما رومانسيًا .

لا شك، حفيدتي الغالية، أن في هذه اللفتات أثرًا عجيبًا في إحياء المودة بين الزوجين، وزيادة الرحمة بينهما، وتوثيق الرابطة الزوجية التي تجمعهما، وأنصحك أن تبادري إليها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وما وجدت ذلك ممكنًا ومناسبًا . لكني أحب أن أذكر أن الإسلام سبق في الدعوة إلى هذه اللفتات التي

يسمونها رومانسية بخمسة عشر قرنًا، وهذا ما تجدينه في الأحاديث النبوية التالية :

■ « إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلاَّ أُجرت عليها ، حتي ما تجعل فى فم امرأتك » رواه البخاري .

■ « كل شيء ليس من ذكر الله .. لهو ولعب ؛ إلاَّ أن يكون أربعة :

١ - ملاعبة الرجل امرأته .

٢ - وتأديب الرجل فرسه .

٣ - ومشى الرجل بين الغرضين .

٤ - وتعليم الرجل السباحة » حديث صحيح رواه النسائي .

■ « كنت أشرب وأنا حائض فيضع النبى ﷺ فاه على موضع فىَّ فيشرب » رواه مسلم) [١] .

---

(١) قالت لى جدتى - ص (١١٧ - ١٢١) .

(١٢)

ليست من أهل « حافظـــات للغيب » ، فبمجـــرد حدوث أى خلاف تهـــتك سترى وتفضحنى ، وهذا مـــن ســـوء العشرة وقلة البصيرة ، وقلة الوفاء .

قال تعالى : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾.

[النساء : ٣٤] .

قال القرطبي - رحمه الله - : « هذا كله خبر، ومقصوده الأمر بطاعة الزوج والقيام بحقه في ماله وفي نفسها، وفي حالة غيبة الزوج .

﴿ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ : أي بحفظ الله لهن . قال النحاس : أي حافظات لمغيب أزواجهن بحفظ الله ومعونته وتسديده .

وقيل : بما حفظهن في مهورهن وعشرتهن . وقيل : بما استحفظهن الله إياه من أداء الأمانة إلى أزواجهن »(١) .

وقال القاسمي - رحمه الله - : « قال الزمخشري : الغيب خلاف الشهادة، أي حافظات لمواجب الغيب، إذا كان الأزواج غير شاهدين لهن، حفظن ما يجب عليهن حفظه في حالة الغيبة من الفروج والأموال والبيوت .

﴿ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ أي بحفظ الله إياهن، وعصمتهن بالتوفيق لحفظ الغيب . فالمحفوظ من حفظه الله . أي لا يتيسر لهن حفظ إلا بتوفيق الله .

أو المعنى : بما حفظ الله لهن من إيجاب حقوقهن على الرجال، أي عليهن أن يحفظن حقوق الزوج في مقابلة ما حفظ الله حقوقهن على أزواجهن، حيث أمرهم بالعدل عليهن، وإمساكهن بالمعروف، وإعطائهن أجورهن »(٢)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣/١٤٩) .
(٢) محاسن التأويل (٣/٩٧) .

قال الألوسي – رحمه الله – : « ﴿ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾ أي يحفظن أنفسهن وفروجهن في حال غيبة أزواجهن، قال الثوري وقتادة : أي يحفظن في غيبة الأزواج ما يجب حفظه في النفس والمال .

وقيل : المراد حافظات لأسرار أزواجهن، أي ما يقع بينهم وبينهن في الخلوة .

﴿ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ : أي بما حفظهن الله تعالى في مهورهن، وإلزام أزواجهن النفقة عليهن . قاله الزجاج .

وقيل : بحفظ الله تعالى لهن وعصمته إياهن، ولولا أن الله تعالى حفظهن وعصمهن لما حفظن »[1] .

وقال صاحب الظلال : « ومن طبيعة المؤمنة الصالحة ومن صفتها الملازمة لها بحكم إيمانها وصلاحها كذلك، أن تكون حافظة لحرمة الرباط المقدس بينها وبين زوجها في غيبته – وبالأولى في حضوره – فلا تبيح من نفسها في نظرة أو نبرة، بل العرض والحرمة – ما لا يباح إلا هو – بحكم أن الشطر الآخر للنفس الواحدة، وما لا يباح لا تقرره هي ولا يقرره هو، إنما يقرره الله سبحانه ﴿ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ .

فليس الأمر أمر رضاء الزوج عن أن تبيح زوجته من نفسها – في غيبته أو في حضوره – ما لا يغضب هو له، أو ما يمليه عليه وعليها المجتمع، إذا انحرف المجتمع عن منهج الله .

إن هنالك حكمًا واحدًا في حدود هذا الحفظ، فعليها أن تحفظ نفسها ﴿ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ والتعبير القرآني لا يقول هذا بصيغة الأمر، بل هو أعمق وأشد توكيداً من الأمر .

إنه يقول : إن هذا الحفظ بما حفظ الله هو من طبيعة الصالحات، ومن

(١) روح المعاني (٤ / ٣٦) باختصار .

مقتضى صلاحهن وعندئذ تتهاوى كل أغوار المهزومين والمهزومات من المسلمين والمسلمات أمام ضغط المجتمع المنحرف، وتبرز حدود ما تحفظه الصالحات بالغيب ﴿ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ مع القنوت الطائع الراضي الودود » (١) .

إن مما يحزن الزوج حزنًا شديدًا أن يجد أسرار بيته في بيت أهل زوجته، فهي دائمًا تنقل لهم أسرار بيتها لاسيما إذا وقع خصام أو مشكلة بينهما .

ولكن كيف تكون صورة هذه الزوجة التي أذاعت أسرار زوجها وبيتها بعد هدوء العاصفة وحل المشاكل، وكيف تكون صورة الزوج التي شُوهت عن طريق امرأة حمقاء ! .

إن للسر حرمة، وحرمة السر أن لا يقال أو يذاع، وأعظم هذه الأسرار أسرار البيوت التي تتساهل بعض النساء في تسريبها إلى أهلها أو صديقاتها .

ولقد قيل : سرك أسيرك فإذا تكلمت به صرت أسيره .

وإن أمناء الأسرار في أيامنا هذه قليلون، بل حفظ الأموال عندهم أيسر من كتمان الأسرار، لأن حفظ الأموال يكون بالأبواب والأقفال، أما حفظ الأسرار، فيكون بحفظ اللسان وهو شاق عسير إلا على الفضلاء والنبلاء .

وكم من بيت تهدم بسبب سر خرج من البيت !

وكم من آصرة تقطعت بسبب عدم الصبر على ما عندنا من أسرار ! .

وكان عمر رضي الله عنه يقول : ما أفشيت سري إلى أحد قط فأفشاه فلُمته، إذ كان صدري به أضيق .

وصدق من قال :

إذا المرء أفشى سره بلسانه	**إذا المرء أفشى سره بلسانه**
إذا المرء أفشى سره بلسانه	**فصدر الذي يستودع الصدر أضيق**

---

(١) في ظلال القرآن (٢ / ٦٥٢) .

فيا أيتها الزوجة العاقلة :

زوجك ثم زوجك ثم زوجك

هو أحد مفاتيحك إلى الجنة . . .

وفي رضاه عنك رضا الله تعالى عنك . . .

فاحذري أن تؤذيه، وتكدري خاطره بنقل ما بينك وبينه من مشاكل أو خلافات أو أي شيء لا يحب أن يخرج عن جدران البيت .

وكوني أمينة، حافظة للغيب، يحفظك الله تعالى .

(١٣)

تعشق النكد .. عنيدة .. مستكبرة .. غير هينة و لا لينة ، و لا تعرف طريق «العؤود علي زوجها » و لا طريق « لا أذوق غُمضًا حتي ترضي » أليس الرجل جديرًا باحترام زوجته له ؟ .

من أسوأ أخلاق أي زوجة « النكد » وهو تكدير حال وبال الزوج لما يحدثه من آثار نفسية واجتماعية على أهل البيت جميعهم .

وخطورة « النكد » فيما يتبعه من أخلاق سيئة أخرى، كالعناد والكبر وفظاظة الطباع وخبث النفس .

والمرأة النكدة تكتسب هذا السلوك والخلق المشين من :

[١] والدتها، فتتأثر بها وتتعلم منها، وتحسب أن هذا السلوك هو الطريق الصحيح للوصول إلى ما ترنو إليه من طلبات أو قوامة داخل البيت أو غير ذلك، لاسيما إن شهدت ذلك واقعًا ملموسًا من والدتها مع أبيها .

[٢] أو من البيئة المحيطة بها من صديقات أو جيران أو أقارب، الذين ينفثون في نفسها هذا المسلك الناري، وإقناعهن لها بأن هذا أمر طبيعي لمعاملة الأزواج .

[٣] أو بسبب فقدانها للحكمة والتعقل، فمثلاً التي تستقبل زوجها عند عودته من عمله بالشكوى من الأطفال والبيت والحياة كلها، إنما تبعث في نفسه الضيق، وتذكره بهمومه، ولا تراعي تعبه وكده في عمله خارج البيت .

[٤] أو بسبب سرعة الغضب، فمن الزوجات من طبعها سيء جدًا، مثل شدة انفعالها وسرعة غضبها، مما يثير المشاكل والخلافات داخل البيت .

وإن للنكد آثار وخيمة جداً، بل أحياناً مدمرة، أخطرها :

[١] تأثر البنات بسلوك الأم، والسير على نفس الطريق .

[٢] كراهية الأولاد للنساء، لاسيما إذا رأوا أباهم مسكيناً لا يستطيع فعل شيء، والأم هي المسيطرة الآمرة والناهية وعالية الصوت داخل وخارج البيت .

[٣] الحياة الكئيبة التي يعيشها أهل البيت، والآثار النفسية التي تلحق بهم، بل ربما تدفع البعض إلى الانحراف، لأن جو البيت خانق، ويريدون أن يهربوا إلى مكان آخر يجدون فيه راحتهم فتكون الطامة الكبرى .

[٤] عدم إحسان العبادة لله، لما أحدثه النكد من شغل القلب بغير الله تعالى .

[٥] قتل الطموحات والآمال عند الفرد، فلماذا يعمل ولمن ؟

إن المرأة الهينة اللينة السهلة هي التي تنقاد لزوجها بسرعة، فإذا بادر بالصلح لم تعترض ولم تتكبر، بل تثوب للحق وتركن إلى زوجها فوراً .

إن المرأة الهينة اللينة السهلة هي من أهل الجنة، فهي العؤود على زوجها، التي لا يهدأ لها بال إلا ورضا زوجها، هو هواؤها الذي تستنشقه، وماؤها الذي تستعذبه، وحصنها الذي تعيش في كنفه، وسُلَّمها إلى الجنة .

إن المرأة الهينة اللينة السهلة هي التي لا ترتاح في نومها ولا على فراشها، ولا تستلذ بعيش ولا بطعام ولا بشراب حتى يرضى عنها زوجها سواء كانت هي المخطئة أو هو المخطئ .

إن المرأة الهينة اللينة السهلة هي التي تكثر من ذكر الموت، ومبيت أول ليلة في القبر دائماً على بالها، لذا فهي دائماً تعتذر وتصفح وتعفو، تطيع في غير معصية، وتتنازل وإن لم تجد تقدير ذلك من زوجها، لأن فراق الدنيا والأحبة

عندها، يشغلها عن العناد والكبر والثأر وسوء الظن وغير ذلك من الأخلاق الرديئة .

وتحت عنوان « الاحترام من أجل حياة زوجية ناجحة » تقول الدكتورة سميحة غريب :

(كل إنسان يحب من يحترمه ويمقت من يحقره أو من لا يقدم له الاحترام. والزوج في بيته أشد ما يحتاجه هو الاحترام من قبل زوجته وأولاده حيث إنه يلاقي خارج المنزل يوميًا أنماطًا مختلفة من البشر منهم المؤدب والمحترم ومنهم من يسمعه إهانة أو قولاً يعتبره طعنة في صميم شخصيته، يهون عليه من صعوبات الحياة وصعوبة التعايش مع أفرادها، فعلى الزوجة أن تبدي له الاحترام بشكل يليق به وتحث أولادها على احترامه وطاعته واستقباله الاستقبال اللائق عند مجيئه بالهدوء وسماع الكلام اللطيف الذي يؤنسه ويذهب عنه التعب أو معاناته مع الناس . فالزوجة العاقلة الحليمة لا ترى في نفسها زوجة فقط فهي أم وأخت وصديقة لزوجها ومن خير ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله الزوجة الصالحة، فهي التي تعوض زوجها عن كل ما يفتقده وتشعره بمحبتها وحرصها عليه وعلى شعوره من أن يُخدش . فبعض الزوجات يعتقدن أن حسن الاستقبال والاحترام خاص بالضيوف فقط أما الزوج فلا يحتاج إلى كل ذلك الاهتمام والرعاية، وهذا رأي خاطئ جداً، فهل من الإنصاف استقبال الضيوف أفضل استقبال ولا يستقبل رب الأسرة الذي يكد من الصباح حتى المساء من أجل توفير المعيشة المناسب لأسرته ؟! بل هي من أبسط حقوقه أن يقدم له كل احترام عند قدومه واستقباله بالبشر والطلاقة التي بها تهون المصاعب والآلام .

ومن الأمور التي تعزز الاحترام بين الزوجين وتنمي العلاقة الأسرية عدم رفع صوت الزوجة على صوت زوجها وبخاصة أمام الآخرين، إذ أن رفع صوت الزوجة

على صوت زوجها أمام الآخرين يجعله في موقف حرج، والأمر لا يخلو من تصرفين :

الأول : إما أن يسكت الزوج وهذا الأمر يسقطها من أعين الناس، ويظهرها بمظهر غير مؤدب ويظهره بمظهر الرجل الضعيف قليل الحيلة .

الثاني : أن يرد عليها بمثل ما فعلت وحينها ستمتلئ القلوب ضغينة، وهذا يَذهب المحبة والألفة ويصبح البيت بؤرة نزاعات ومخاصمات، مما يجعل الحياة مستحيلة، ويزداد الأمر صعوبة إذا كان هناك أولاد فكيف يكون حالهم ونفسيتهم في هذا الجو المشحون بقلة الاحترام ؟! .

فالجدير بالمرأة إذا كان زوجها عصبي المزاج أن تصبر عليه وتتحمله وتجد له العذر وتغض الطرف عما بدر منه، قال رسول الله ﷺ : « **خير نسائكم التى إن غضبت أو غضب زوجها قالت له : يدى بيدك لا أكتحل عينى بغمض حتي ترضي عنى** » .

وكذلك عدم إظهار عيوب الزوج أمام الآخرين حيث لا يوجد إنسان خال من العيوب، فلابد أن يكون في كل إنسان ثغرة أو نقص معين، فالمرأة الحكيمة المبقية على الحياة الزوجية يجب أن تغض الطرف عن عيوب زوجها ولا تذكرها أمام الآخرين . قال رسول الله ﷺ : « **كفي بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمي عنه من نفسه ، وأن يسر الناس بما يستطيع تركه ، وأن يؤذى جليسه بما لا يعنيه** ». وإن كان العيب قابلاً للإصلاح فلا بأس من السعي لإزالته بالكلام اللطيف والأسلوب اللين وبالتحمل والصبر، وإذا كانت المرأة ذات عقل تستطيع أن تغفل عن عيوبه بتأمل حسناته والرضا بها، قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة وعين السخط تبدي المساوئا

لتعلم الزوجة أن احترام الزوج سوف يجعلها محترمة من قبل زوجها ومن

قبل الآخرين، تلبي طلباته بأدب وترد على كلامه بأسلوب لطيف مما يزيد من مكانتها في قلب زوجها، وكذلك تمدحه أمام الأقارب والأصدقاء، ولا تتحدث عندما يكون محدثًا بل تشعر الجميع باحترامها وحبها وتقديرها لشخصيته لتجعل له مكانة في أعين ونفوس الآخرين وتحيطه بهالة من الاحترام. كذلك عليها أن تعلم أولاده كيفية احترام الأب، تؤنبهم وتوبخهم بشدة إذا ما أبدوا أي سلوك يظهر غير ذلك لأنهم بتصرفاتهم يعكسون تربية الأم وسلوكها .. فإن كانوا صلحاء وعلى خلق فهو دليل على حسن تربية الأم وسمو أخلاقها والعكس صحيح .

على الزوجة السكوت والصبر عند غضب الزوج، فطبيعة عمل الزوج خارج المنزل تجعله يحتك بأشخاص مختلفي الطباع فيداري هذا ويتلطف إلى ذلك فيرجع إلى بيته وهو منهك الأعصاب تثيره أتفه الأمور وقد تبدر منه كلمة نابية أو إهانة للزوجة أو الأبناء دون قصد، فإذا كانت الزوجة فطنة ومدركة تقابله بالسكوت تقديرًا منها لطبيعة عمله ومشكلاته، فعندما تنتهي العاصفة سيندم على ما قال، وتسمو زوجته في نفسه، ويزداد احترامه لها، أما إذا كانت غير مدركة لمواقف زوجها فترد عليه وهو في حالة الغضب فإن ذلك يترك آثارًا غير طيبة في نفسه لا تنمحي أبدًا) [١] .

ولعل من أهم صور نكد المرأة داخل البيت :

■ كثرة غضبها وعلو صوتها وسرعة خطئها بالتلفظ بكلمات تؤذى الغير :

وهذه بعض النصائح أقدمها لمثل هذه النوعية من الزوجات لكي تقلع عن هذا السلوك المشين :

[١] جنبي نفسك الأفكار المسببة للغضب، ولا تسمحي بزيادتها، والتمسي الأعذار، وأحسني الظن بزوجك فقد يجرك الشيطان إلى وساوس تزيد من

---

(١) جريدة « آفاق عربية » المصرية بتصرف يسير .

إشعال الغضب في نفسك مثل :

« كيف يتكلم معي بهذا الأسلوب ؟ لماذا يرفع صوته عليَّ ؟ ليس له الحق فيما فعله ؟ » . ففي هذه الحالة استدعي الأفكار الصحيحة واطردي عنك هذه الوساوس الشيطانية، فقولي مثلاً : « إنه بشر ومن منا لا يخطئ »، « إن حسناته وفضله عليَّ أكثر من خطئه عليَّ »، « إنه لابد أن يقدر عدم غضبي وتحملي له » وهكذا من الأفكار التي تنم عن عقلية متزنة واعية حكيمة .

[٢] التزمي بالسنة عند الغضب فإن كنت واقفة فاجلسي، وإن كنت جالسة فقفي، وإذا كنت مشدودة الأعصاب فاسترخي، وابتعدي عن مكان ثوران الغضب، والوضوء من أفضل الوسائل المطفئة لنيران الغضب .

[٣] استعيذي بالله من الشيطان الرجيم، وأكثري من ذكر الله تعالى والاستغفار ولن تندمي أيتها الزوجة المسلمة على كتمك مشاعر الغضب في نفسك لاسيما إذا عادت المياه إلى مجاريها ويظهر لك من زوجك المحبة والمودة والألفة والأنس، فتنسين معها إساءته، وتحمدين الله تعالى على حسن تصرفك .

■ **عدم قبولها اعتذار الزوج ومبادرته بالصلح :**

يقول الأستاذ محمد رشيد العويد :

(في كتابه « الحب يعني اثنين » يروي تشاك جالاغر مثالاً على مصالحة جرت بين زوجين إثر مشادة حادة بينهما .. لم يدخر الزوج وسعًا خلالها في إطلاق الكلمات المهينة الجارحة .

في اليوم التالي كان يفكر في الأسلوب الأمثل لمصالحتها . ماذا سيفعل ؟ لقد كان جارحًا أكثر مما يُحتمل ... ولن يكفي أن يبالغ في اللطف تعبيرًا عن الاعتذار .

عندما وصل المنزل .. كانت آثار البكاء تطل من عيني زوجته الحمراوين

المنتفختين، وعندما حاولت يداه الإحاطة بكتفيها ومواجهتها .. تصلب جسمها وأشاحت بوجهها عنه . لكنه تشبث بها، وقال : « حبيبتي » .. لقد كان سلوكي قبيحًا جدًا بالأمس . لا يكفي أن أقول أنا آسف .. ولكن هل تسامحينني ؟ .

استرخت عضلات جسمها بين يديه، وأجهشت بالبكاء وهي تدفن رأسها في صدره وهمست بعد لحظات : نعم أسامحك .

وعندما توقفت دموعها قالت : لقد كنت أعد العدة لموقف عاصف جديد . أردت أن أوضح لك مدى الإيذاء الذي سببته لي بالأمس . لكن عندما طلبت مني أن أسامحك .. توقفت فجأة عن التفكير في مساوئك .. وبدأت أدرك أنني لست إنسانًا كاملاً .. ومن أكون أنا لأمنحك العفو ؟! لقد وضعت نفسك بين يدي ولن أنسى هذا أبداً .

شلال الغضب الهادر، إذن، يمكن أن يتبخر، كأن لم يكن، إذا دفع أحد الزوجين إساءة صاحبه بالتي هي أحسن .

وهذا الذي يدعو إليه ذاك الكتاب الغربي، سبقه إليه الإسلام بأربعة عشر قرنًا، وذلك في قوله تعالى :﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤] .

يقول ابن كثير – رحمه الله – : « إذا أحسنت إلى من أساء إليك .. قادته تلك الحسنة إليه .. إلى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير كأنه ولي لك حميم .. أي قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك » .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية : « أمر الله بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة .. فإذا فعلوا عصمهم الله من الشيطان » .

فإذا كان هذا مع من بينك وبينه عداوة .. فإنه أولى مع زوجك الذي جعل الله بينك وبينه مودة ورحمة .

أعود إلى الكتاب، حفيدتي الغالية، لأنقل لك منه بقية كلام مؤلفه عن التي

قبلت مصالحة زوجها لها .. ولم تجعل قبولها معلقًا بشروط محددة : « بقدر ما يسامحني أسامحه » أو « لن أسامحك حتى أحصل على ضمان أنك لن تكرر ذلك مرة أخرى » أو « لن أسامحك حتى أتأكد فعلاً أنك تغيرت » .. فالزوجة إذا فعلت ذلك فهي تتعالى على زوجها .. وعلى مشاعره، وتنسى أنها في الماضي القريب أخطأت بحقه .. وقبل مصالحتها دون أن يضع شروطًا للصلح .

اقبلي - حفيدتي - مصالحة زوجك، وشجعيه عليها، وابدئي أنت هذه المصالحة إذا كنت أنت المخطئة أو المسيئة إلى زوجك) [1] .

■ **كثرة اللوم والنقد لزوجها :**

يقول الأستاذ محمد رشيد العويد :

(حدثتك، حفيدتي الغالية، عن الأسلوب الأمثل لتقديم النصيحة لزوجك. وبينت لك أن رفض بعض الأزواج لا يكون للنصيحة .. إنما للأسلوب الذي قيلت فيه .

واليوم أحدثك عن ضرورة تخفيف اللوم والنقد، لوم زوجك ونقده، فكثيرًا ما يكون هذا النقد أو اللوم سببًا في شجار حاد بين الزوجين، وفي إثارة مشاعر الكراهية المتبادلة في نفسيهما .

يقول أحد علماء النفس : عندما تسير الأمور في الطريق الخطأ .. لا يكون الوقت مناسبًا لانتقاد الخطأ . فعندما يغرق الإنسان .. لا يكون الوقت مناسبًا لتعليمه السباحة .. أو توجيه اللوم له . إنه وقت المساعدة فقط .

ويروي هذا العالم النفسي هاتين القصتين :

أثناء عودة الزوج وزوجته من منزل أهل الزوجة .. قام بـ[illegible] خاطئة طريق ذي اتجاه واحد .. وكاد يصدم سيارة أخرى .. [illegible] ـته : [illegible] جرى لك ؟ ألم ترَ الإشارة ؟ لقد كتب عليها بوضوح : [illegible] ! المـ[illegible] أننا نجونا من الموت .

---

(١) قالت لي جدتي - ص [illegible] .

المشهد الذي تلا كلام الزوجة لم يكن سوى عاصفة من الشجار بين الزوجين .

القصة الثانية : تحكي موقفًا مشابهًا واجهته زوجته أخرى .. ولكنها عالجته بطريقة مختلفة تمامًا .

فعندما تجاوز زوجها الإشارة الحمراء، وأوقفه الشرطي لتحرير مخالفة .. خاطبت زوجها بلطف قائلة : عزيزي .. أعتقد أنه من المستحيل قيادة سيارة دون دفع غرامة أحيانًا .. دعنا لا نترك ذلك يفسد علينا نزهتنا .

هذا التعليق غير الناقد ... ساعد زوجها على مواجهة هذا الموقف غير المستحب بصورة واقعية (١) .

وإنك لتستطيعين – بعون الله – أن تمرّني نفسك، وتدربي لسانك .. على تجنب اللوم والنقد .. وأن تستبدلي بهما عبارات تخفف من وقع الخطأ على زوجك .. وتكسبك مودته وحبه في الوقت نفسه .

إذ لا شك في أن معظم الأزواج يلوم نفسه على خطئه، ويشعر به في قرارة نفسه، فلا تزيدي أنت هذا اللوم .. فتزيدي ألمه وندمه .. وتثيري الخلاف بينكما .. فتكسبي - من ثمَّ كرهه لك ونفوره منك) (٢) .

■ **كثرة طلب الطلاق من الزوج :**

لا شك أن كثرة طلب المرأة الطلاق من الزوج يكدر خاطره، وينكد عليه عيشه، ويفقده الاستقرار والسكينة داخل البيت، وذلك لأن هذا السلوك السيء يجعله يعيش في جو خانق من النكد والتكدير والحزن، وكل ذلك يؤثر سلبًا على الأولاد، والمرأة التي تطلب الطلاق من زوجها لغير سبب شرعي فحرام عليها رائحة الجنة كما قال النبي ﷺ : « **أيما امرأة سألت زوجها الطلاق فى غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة** » (٣).

---

(١) جريدة « الهدف » الكويتية – ١٩٩٣/٣/٣١م .
(٢) قالت لى جدتى ، ص (٩٩ – ١٠١) .
(٣) رواه أبو داود والترمذى وغيرهما ، و صححه الألبانى رحمه الله (صحيح الجامع ٢٧٠٦) .

ولابد أن تعلم هذه المرأة المندفعة المتسرعة أنها ستخسر كثيرًا إن طلقت وكان ذلك بغير سبب شرعي .

(وحتى يبتعد الطلاق عن تفكيرك أنصحك بما يلي :

[١] تذكري دائمًا أن الزواج ضرورة اجتماعية . تقول إحدى النساء : « حتى نتفادى الطلاق . . يجب علينا أولاً أن نوقن أن الزواج ضرورة اجتماعية » . وتضيف هذه المرأة (وهي الآن مطلقة) : « لم أشعر بأهمية الزواج في المجتمع إلاَّ حين انفصلت عن زوجي » (١) .

[٢] قد لا تكون حياتك الزوجية خالية من المعاناة والتعب، ولكنك حين تفكرين في المعاناة والتعب اللذين سيحلان بك بعد الطلاق، وما يتبع ذلك من إلقاء مسؤولية الأولاد عليك وحدك، أو حرمانك من الأولاد حين يبلغون السن التي يحق لوالدهم فيها الاحتفاظ بهم . . . وغير هذا وذاك . حين تفكرين بهذا سيزداد حرصك على زواجك وتمسكك به .

[٣] الزواج المثالي الذي لا خلاف فيه قد لا يكون موجودًا إلاَّ في الكتب . هذه الحقيقة، إذا وضعتها في تصورك دائمًا، فقد تساعدك على أن تكسبي قناعة قوية بزواجك، ورضىً به، وحرصًا عليه، وأنت ترددين في نفسك : الطلاق لن يأتيني بزواج أفضل من زواجي .

يقول أحد الشباب حديثي الزواج : « في يوم زفافي ؛ تلقيت نصيحة هامة من والدي إذ قال لي : إياك والكتب التي تدعو إلى حياة زوجية سعيدة . . فإن أكثرها يدعوك إلى عالم المثالية، ويبعدك عن أرض الواقع فتجد نفسك هائمًا مع الكتاب . . ثم تصدم بعد ذلك . . إذ أنك لن تستطيع أن تطبق ما قرأت » (٢) .

[٤] تقول إحدى الزوجات : قد يشعر كلا الزوجين أن ارتباطهما يسبب لهما آلامًا نفسية، وأنهما قد وصلا إلى الحد الذي لا يقويان فيه على الحياة معًا،

---

(١) نشرتها مجلة بريطانية ونقلتها عنها جريدة السياسة فى عددها الصادر فى ١٥/٧/١٩٩٢ م .

(٢) نشرتها مجلة بريطانية ونقلتها عنها جريدة السياسة فى عددها الصادر فى ١٥/٧/١٩٩٢ م .

ولكن هناك أطفالاً سيتأثرون بهذا الانفصال ؛ لذا نجدهما قد تحاملا على نفسيهما من أجل هؤلاء الأطفال، وقررا إكمال حياتهما معًا (١) .

أجل، فالتفكير في مصير الأطفال إذا حدث الطلاق ؛ يصرف الزوج والزوجة عن الطلاق، ويبعده عنهما، ومن يدري .. فقد تصفو الحياة من جديد بين الزوجين .. وينسيان ما كان بينهما من خلافات .

[٥] لا تذكري الطلاق على لسانك ؛ سواء جدًّا أم مزاحًا، ومهما وصل الخلاف بينك وبين زوجك فلا تطلبي منه الطلاق .. حتى وإن كنت موقنة أنه لن يطلقك ؛ فقد يسكت مرة ومرتين وعشرًا .. ولكنك تفاجأين يومًا أنه يستجيب لطلبك بقوله : أنت طالق . قال رسول الله ﷺ : « **أبغض الحلال إلي الله الطلاق** » [رواه أبو داود والحاكم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما] (٢) .

وفي حديث رواه الدارقطني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **يا معاذ .. ما خلق الله شيئًا علي وجه الأرض أحبّ إليه من العتاق ، ولا خلق الله شيئًا علي وجه الأرض أبغض إليه من الطلاق** ») (٣) .

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) نشرتها مجلة بريطانية ونقلتها عنها جريدة السياسة فى عددها الصادر فى ١٥ / ٧ / ١٩٩٢ م .

(٢) حديث ضعيف .

(٣) قالت لى جدتى – ص (١١٢ – ١١٥) .

فهرس

الموضوع رقم الصفحة